سعـــــدالـلـــــه ونــوس

مسرحية رحلة حنظلة من الغفلة الي اليقظة



سعد الله ونّوس

مسرحية رحلة حنظلة من اليقظة الي الغفلة

من الأعمال الكاملة

المجلد الثاني

الطبعة الأولي
١٩٩٦

الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - دمشق

Abd ELrahman ELhandawily

رحلة حنظلة
من الغفلة إلى اليقظة

كتابة جديدة لنص بيتر فايس:

(كيف تخلص السيد موكينبوت من آلامه)

(تتدلى من سقف المسرح حلقة معدنية واسعة. يمكن أن تتحرك في فضاء المسرح جيئة وذِهاباً، ويتغير توظيفها بين مشهد وآخر. في طرف قصي دكة خشبية يقف حنظلة إلى جوارها متهدِّل الهيئة. حرفوش يتأرجح على الحلقة المعدنية مرحاً وعابثاً..)

حرفوش : **(كالمعلنين عن ألعاب الحواة، وهو يروح ويجيء داخل الحلقة)** بؤس وتعاسة.. انظروا أيها السيدات والسادة. هذا الرجل الضامر سيكون بطل السهرة. لا تشعروا بالخيبة، فقد ولى عهد الأبطال العمالقة. لكل مرحلة شخصيتها، وهذا الرجل الضامر **(تزداد لهجته إعلانية)** هو شخصية المرحلة.

(يقفز بحركة خفيفة من الحلقة، ويقترب من حنظلة).

حرفوش : الاسم.

حنظلة : حنظلة.

حرفوش : اسم الأب.

حنظلة : حامد الحنظلي.

حرفوش : اسم الأم.

حنظلة : زنوب الصفراوي.

حرفوش : مكان وتاريخ الولادة.

حنظلة : الدرويشية وسنة الميلاد ضائعة.

حرفوش : الوضع العائلي.

حنظلة : متزوج بلا ضنى.

حرفوش : المهنة.

حنظلة : عدّاد فراطة في بنك الازدهار والعمارة.

حرفوش : الزمرة الدموية.

حنظلة : سالبة.

حرفوش : المبدأ.

حنظلة : المبدأ؟

حرفوش : ماهو مبدؤك في الحياة؟

حنظلة : امشِ الحيط الحيط وقل يا ربي السترة.

حرفوش : **(متسارع اللهجة)** المبدأ؟

حنظلة : خبئ قرشك الأبيض ليومك الأسود.

حرفوش : المبدأ؟

حنظلة : بينك وبين الجار سمْك الجدار.

حرفوش : المبدأ؟

حنظلة : الطاقة التي يأتيك منها الريح سدُّها واستريح..

(أثناء الحوار السابق. يدخل ممثل فيقيد رجل حنظلة بسلسلة مثبتة بالأرض. ثم يدفع أمامه حاجزاً من القضبان هو جدار الزنزانة. مع آخر عبارة في تقديم الشخصية يضطجع حنظلة على الدكّة الخشبية، ويتدثر بغطاء ممزق أشبه بالخرق. يخفت عليه الضوء. ويغرق في النوم).

حرفوش : **(وهو يرتد عنه. يقفز بخفة مواجهاً الجمهور.)** بؤس وتعاسة.. هذا هو طالع صاحبنا حنظلة. يعيش الآن في محنة. وستشتد عليه المحن، وتزيد.. إنه لايعرف سبب مصائبه، ولايدرك سر محنته. إذن عليه أن يتحمل العذاب فوق العذاب، وأن يمشي طويلاً على درب الآلام. لا أحب الشماتة كما لا أحب الشفقة. أن يكون المرء أعمى هذا شيء. وأن تكون له عينان سليمتان، ولايبصر فهذا شيء آخر. لكن لنبدأ القصة من أولها..

(لهجة إعلانية) أول القصة في السجن.

في السجن

(حنظلة متمدد على الدكة ونائم. بين حين وآخر ينتفض زافراً أو متنهداً. يأتي الشرطي، يفتح باب الزنزانة محدثاً ضجة معدنية صاخبة. يدخل وهو يهز هراوته).

الشرطي : ماشاء الله.. ماشاء الله.. السيد لايصحو قبل الضحى.. كان ينبغي أن أحضر معي فرقة الموسيقا. هيا أيتها الفأرة.. اضغط على عجيزتك وانهض.. **(مشيراً إلى قطعة الخبز اليابس وقصعة الحساء)** ألا يعجبك طعامنا! سأرش عليه قليلاً من التوابل كي يصبح أشهى. **(يبصق في الصحن، يعلو النفور وجه حنظلة، ويغمض عينيه).** لاتقلب سحنتك. كل المساجين يعرفون جودة توابلي. يا الله. انهض قبل أن أسحق رأسك بكعب الجزمة. **(يرتعد حنظلة، ينهض مضطرباً. يرتدي سروالاً وسخاً، ضيقاً. وفوقه صديري من الجوخ القديم. في إحدى قدميه جورب، أما الثانية فعارية ومقيدة بالسلسلة المعدنية..).**

حنظلة : بحق الله لا تغضب. لم يغمض لي جفن. أمضيت الليل في عدّ الأيام. تصور.. أنا عدّاد الفراطة الذي لم يخطئ مرة، لم أستطع أن أحسب كم يوماً مرّ عليّ هنا. أقول كان ذلك يوم الجمعة. أوقفوني وقطع السيد الحارس حزامي وهو يجلدني، ثم أنتقل إلى السبت، فيختلط في رأسي أكثر من سبت. أعود إلى البداية، وأقول كان ذلك يوم الجمعة، أوقفوني.

الشرطي : **(مقاطعاً بغضب)** أوقف، وإلاّ أوقفتك في دار الأموات. في هذا المكان أنفع لك أن تعد القمل في رأسك، وتترك الأيام تنساك.

حنظلة : أما آن أن تشملني الرحمة. لم أرتكب أيَّ شيء. لا جرماً ولا خطيئة. ومع هذا أوقفوني ذات صباح، ثم قادوني إلى السجن، ورموني في ظلمته.

الشرطي : لو لم ترتكب جرماً أو شبهة ماكنا حبسناك. في السجن لا يوجد أبرياء.

حنظلة : ومع هذا صدقني أيها السيد أني بريء. كنت وما أزال رجلاً مستقيماً لايقرب الخمرة، ويطيع كل ما تأمر به الحكومة.

الشرطي : ما نعرفه عنك يكذب ما تدّعيه. من يدري أي مخطط كنت تنوي! انسللت عبر الشوارع الخلفية، وحين قبضنا عليك متلبساً، بدأت تنوح متظاهراً بالبراءة.

حنظلة : أنا! لا شك أني ضحية خطأ رهيب. لعلهم يريدون شخصاً آخر. هذا هو الأمر. بالتأكيد كانوا يريدون شخصاً آخر. إنك لا تعرفني أيها السيد. بعد عودتي من العمل لا أغادر أبداً دفء بيتي وزوجتي. من البيت إلى العمل. ومن العمل إلى البيت. هذا هو نظامي أكان الفصل ربيعاً أم خريفاً، صيفاً أم شتاءً.

الشرطي : ونظامنا لا يتغير مهما تغيرت الفصول. مادمت في السجن فأنت مذنب. ومادمت مذنباً فإن القانون يقضي أن تكون في السجن. هذا هو نظامنا. شرحته لك مراراً، لكن يبدو أنك لا تفهم إلا شرح السوط.

حنظلة : أرجوك أيها السيد أن تساعدني.

الشرطي : وكيف تريد أن أساعدك.. هل أضع لك خطة للهرب، أم أتبنى جرائمك المدونة في المحاضر والسجلات؟

حنظلة : عندي وفر صغير وضعته في البنك من أجل المرض أو يوم الشدة. لا يعرف المرء ماذا تخبئ الأيام.

الشرطي : احذر فأنت تضيف إلى سجلّك الحافل جريمة جديدة.

حنظلة : (خائفاً ومرتبكاً) ماذا فعلت؟

الشرطي : إنك تلوّح بالرشوة، وتحاول إفساد موظف حكومي شريف.

حنظلة : ولكن ألم تقل لي؟ (لحظة) نعم.. أنت نفسك قلت لي.. من يفتح كيسه يجد من يعينه!

الشرطي : آأنا قلت ذلك؟

حنظلة : الكلمات مازالت ترن في أذني. منذ سمعتها وأنا أقلّبها ظهراً وبطناً. كنت آمل أن تلحظني العدالة، دون التفريط بنقودي. لكن الأيام تمضي، وربما كانت العدالة مشغولة عني. لهذا قررت أن أفتح كيسي.

الشرطي : وأخيراً جاءتك نصيحتي، لا بأس. إلا أني أصارحك منذ البداية. إذا لم يكن الكيس ثقيلاً، فإن أحداً لايستطيع أن يفعل لك شيئاً.

حنظلة : هو وفر صغير جمعته بالليرة والليرتين. كان اقتطاع لحمي أسهل عليّ من تبديد قرش منه.

الشرطي : لا أدري كم هو وفرك. لكن في مثل قضيتك ينبغي ألا يكون أقل من عشرة آلاف.

حنظلة : (مبهوتاً) عشرة آلاف..

الشرطي : أتجد المبلغ كبيراً؟

حنظلة : (مواصلا بهوته) هل قلت عشرة آلاف؟

الشرطي : لاتحسب أني سأضعها في جيبي. ما أنا إلا واسطة خير. آخذها منك لأدسها في جيوب الآخرين.

حنظلة : (ساهماً) قترت على نفسي طوال سنوات، كي أجمع وفراً صغيراً. وعليّ الآن تبديده في لحظة. أليس الحق، أن أطلب تعويضاً عما لحق بي دون ذنب، بدلاً من أن أدفع كل ما أملك.

الشرطي : لن يصغي إليك أحد مهما شكوت أو تذمرت. في حالتك لا

فائدة من التردد.

حنظلة : (بحزم) أقصى ما أستطيع أن أدفعه هو ستة آلاف.

الشرطي : هيا أيها الجربوع.. إنهم ينتظرونك في غرفة التحقيق.

حنظلة : (مرتاعاً) غرفة التحقيق.. أرجوك.. سأدفع سبعة آلاف.

الشرطي : لاتستنفد صبري.

حنظلة : ماتطلبه يخرب البيت. إنك تدمرني أيها السيد.

الشرطي : خبئ دموعك للتحقيق. هيا.. إنَّ وقت الحكومة ثمين.

حنظلة : سأدفع ثمانية آلاف.. إنه كل وفري تقريباً.

الشرطي : ثمانية.. لاأدري لماذا يرقُّ قلبي لك. طبعاً أنت لا تعرف العملية المعقدة التي يحتاجها الإفراج عنك. عليّ أن أبدل السجلات، وأن أجد مشبوهاً يحل مكانك. ولكي أفعل ذلك ينبغي أن ندس شيئاً في جيوب الجميع.

(يخرج ورقة من جيبه، ويكتب الصك).

حنظلة : ألا يمكن الإفراج عن بريء إلا إذا قبضتم على واحد آخر؟

الشرطي : في أنظمتنا لايجوز أن تكون في السجون أماكن شاغرة. شعارنا اعتقل الشبهة ولا تواجه فتنة. يا الله.. وقِّع هنا، وإياك أن تلعب معي لعبة فيها التواء.

حنظلة : (وهو يوقع) عمري ماعرفت الدروب الملتوية، ولا سرت عليها.

الشرطي : (وهو يخرج) طيب.. سنرى ماذا يمكن أن نفعل.

حنظلة : (بعد فترة) لماذا يحدث لي ما يحدث؟ ما الذي يربط هذه الأمور بعضها ببعض؟ الشقاء يهدّني والغموض يتجاوز مداركي. فكيف أجد مخرجاً من هذا الدرب المسدود؟

(يحلق في الفراغ ببلادة وحين تعلو ضجة المزلاج، يقفز خائفاً.. يدخل الحارس وهو يحمل بقجة مهلهلة).

الحارس : المدعو حنظلة الحنظلي. هل أنت المتهم المسمى أعلاه، والذي

نودي عليه الآن؟

حنظلة : إني هو بالذات. وأقسم مجدداً إني بريء.

الحارس : أنت بريء، ومع هذا تأتي إلى السجن وتقيم فيه دون حياء.

حنظلة : تماماً أيها السيد الحارس. لقد انتزعوني دون حياء من دفء بيتي وزوجتي.

الحارس : وهل تظن أن الدولة تبني السجون كي تقدم المأوى والعلف للأبرياء؟. بعدأن تبين بالأدلة أنك بريء فإن مدير السجن يأمر أن تدفع تكاليف إقامتك هنا. **(حنظلة يفتح فمه إلى أقصاه، وتجمد النظرة في عينيه. يحاول الكلام. يتحرك لسانه دون صوت..)** حسبنا المبيت على سعر الفنادق المتوسطة. ثم أضفنا إليه ثمن الوجبات الثلاث. فكان الحساب أربعمائة وأربعاً وستين ليرة. **(يحاول الحارس أن يطبق فمه، ينطبق الفكان على اللسان، يصرخ حنظلة متوجعاً، وينهار راكعاً على الأرض، بحركات سريعة وشبه كاريكاتيرية، يفك الحارس بقجة الأمتعة الشخصية، ويساعد حنظلة على ارتداء ملابسه. يفرغ ما في محفظة نقوده، ويضعه في جيبه. ثياب حنظلة مضحكة. البنطلون واسع جداً والحزام مقطع. أما الحذاء فإنه ضخم بصورة كاريكاتورية. يخرج الحارس.. يتبعه حنظلة متأبطاً حذاءه، فيتعثر، ويندفع من الباب).**

في الهواء الطلق

(يبدو حنظلة ممدداً على الأرض في طرف المسرح، حذاؤه الغليظ مبعثر إلى جواره. يدخل حرفوش بخفة.. يجلس على الحلقة المعدنية متأرجحاً، وكأنه يلهو).

حرفوش : وخرج صاحبنا من السجن دجاجة منتوفة. هل نواسيه؟ لا ريب أن شيئاً من العطف والحنان يسعفه قليلاً. لكن ما يسعفه أكثر، هو أن يعرف أكثر. إذن لاتظنوا بي السوء لو أبديت نحوه بعض الخشونة. أصبح حنظلة خارج السجن والمشهد الآن يدور في الهواء الطلق...

(يتزحلق حرفوش عن الحلقة، يتربع وكأنه جالس على بساط من العشب. يتناول من كيس شطيرة، ويلتهمها ببطء، وتلذذ. في الوقت نفسه ينهض حنظلة متململاً.. يبحث عن فردتي حذائه، يجمعهما ويحملهما تحت إبطه. ينزلق بنطلونه، يصاب بالخجل، ويمد يديه بسرعة ليرفعه وهو يتطلع حوله. الحذاء يتبعثر. يجمعه من جديد.. يتأبطه وباليد الأخرى يحاول أن يمسك بنطلونه).

حنظلة : آه.. لقد أتلف الحارس حزامي الذي كنت أعتز به.

(بعد بضع خطوات متأرجحة يلمح حرفوش. يرتبك وهو يرفع بنطلونه، فيسقط الحذاء.. يجلس قريباً منه، ويبدأ في تأمل حزامة المقطع.. حرفوش لا يعيره أدنى اهتمام).

حنظلة : **(وهو ينقل بصره بين حرفوش والحزام..)** تصور أيها السيد.. **(يستدرك)** اسمي حنظلة. هذا الحزام اشتريته يوم زواجي. إنه جلد أصلي. لكن حارس السجن قطّعه وهو يسوطني به.

حرفوش : من لا يملك حزاماً، لا يستطيع أن يستر مؤخرته.

حنظلة : كنت أعتز به. أحس أنه يجمعني، ويحزم لي وسطي.

حرفوش : والآن إما أن تزحف على مؤخرتك، أو تعرضها للمارة.

حنظلة : آه لو تعلم ماذا جرى لي أيها السيد!

حرفوش : تعطلت دواليب عقلك، وانحلت براغيه.

حنظلة : لا.. بل كنت أتنزه في الشارع **(حرفوش يدير ظهره له باستخفاف)** لا أحد يريد أن يصغي إليّ. الأفضل أن أسرع إلى بيتي وزوجتي.

(ينهض، ويحاول أن يلبس حذاءه وهو واقف. ينزلق بنطلونه. يتعثر ويعود فيجلس على الأرض. يحاول أن يلبس الحذاء وهو جالس. يخلط بين الفردة اليسرى واليمنى مرات عديدة. ثم يبدو وكأنه في غمار عملية شاقة، وقد اختلط عليه الأمر. بينما يرمقه حرفوش مخالساً النظر، وهو يهز رأسه باستخفاف يمتزج فيه الاحتقار.)

حنظلة : **(تلتقي عيناه بعيني حرفوش، يرتبك أكثر)** أن ألبس حذائي كانت دائماً عملية شاقة. فأنا أتساءل مثلاً لماذا يكون للقدم اليسرى الأولوية، ومن يضمن، أن اليمنى ستتبعها دون اعتراض؟

حرفوش : وإذا قلبت المسألة، وبدأت باليمنى، فمن يضمن أن اليسرى لن تحرن في اللحظة الأخرى؟

نظلة : ومما يزيد الأمر صعوبة أننا بحاجة إلى قدمين اثنتين كي نمشي.

حرفوش : **(متصنعاً جدية بالغة)** حقاً، إنها تجربة قاسية ومغامرة جريئة، أن يقرر المرء كيف يمشي.

حنظلة : **(وهو يتابعه مندهشاً، ثم جذلاً)** أليس كذلك أيها السيد؟ وأخيراً.. هو ذا رجل يمكن التفاهم معه. إنك تشجعني على

متابعة قصتي. ماجرى لي يستحق أن يُروى. إني ضحية ظلم لا مثيل له..

حرفوش : لا ضحية بلا جلاد، ولا جلاد بلا ضحية.

حنظلة : (ينشده ببلاهة. ثم يتابع بعد لحظة) كنت أتنزه مستمتعاً بأشعة الشمس. تركت شارعاً، وانعطفت إلى شارع آخر. فدهمني عدد من رجال الشرطة وهم يصرخون. هو ذا الرجل الذي نبحث عنه. انقضّوا عليّ وأمسكوا بي. تصور أيها السيد حالي.

حرفوش : الجلاد يعرف دائماً ضحيته، لكن الضحية لا تعرف دائماً الجلاد.

حنظلة : بعد أن تمالكت نفسي، قلت لهم أيها الموقّرون اسمي حنظلة. فأجابوني غاضبين.. يا ابن القحبة سنجعلك تذوق ما هو أمرّ من الحنظل. ماذا تفعل في هذا الشارع؟ أخبرتهم أني أمضي إلى الكشك لأشتري مجلة النجوم. فأنا وزوجتي نحب أن نقرأ الأبراج.

حرفوش : ماهو برجك؟

حنظلة : أنا.. الثور. وزوجتي العقرب. هذان البرجان أحدهما للآخر كالقدر وغطائه.

حرفوش : ولم يمهلك رجال الشرطة حتى تقرأ ماتخبئه لك الأبراج؟

حنظلة : قلت لهم تركت امرأتي تعدّ القهوة في البيت، وسأعود حالما أشتري المجلة. فصرخوا بي.. سنعرف كيف نكشف أكاذيبك، وفي السجن يمكنك أن تفكر بفأرتك العاهرة كما يحلو لك. قل لي أيها السيد.. أهي عدالة أن يوقف رجل يستمتع بأشعة الشمس، ويتنزه في الشارع ببراءة؟

حرفوش : أية قصة مؤثرة! إلا أنها لم تؤثر فيّ أكثر من مواء قطة شاردة. العدالة تنفر من الوجوه البالية الذليلة.. (ساخراً) ومن يدري

ربما كانت سحنتك مجرد قناع للخداع! أعرف كثيرين يخفون خلف هذه الأقنعة. رغبات ضارية في التشرد والشغب.

حنظلة : أنا؟ إنك تَقْرفني أيها السيد، وأمام تفاهمنا القلبي توصد الباب.. لقد وصفت لك حقيقة ما أصابني فهل تتكرم، وتتفهم وضعي؟..

حرفوش : هـ.. هـ أتظنني مربيتك.. إفطاري وأنهيته، وطبيخ قصتك نسيته. أعلن نهاية اللقاء، وسأبحث عن كأس ينسيني وجهك المنسول. قد نتلاقى مرة أخرى. اسمي العم حرفوش.. والآن وداعاً.

حنظلة : وأنا الذي ظننت العثور على صديق، ينفعه أيام الضيق. لا ينبغي أن أثق أبداً بغريب. المكان الوحيد الذي بقي لي هو حضن زوجتي الحبيبة. هناك سأجد العزاء والفرج بعد الشدة.

(يخرج حنظلة متعثراً، وقد انتعل حذاءه بالمقلوب. الفردة اليمنى بالقدم اليسرى، والفردة اليسرى بالقدم اليمنى).

في البيت

(يمكن أن يبدأ المشهد بلعبة بين ممثلين يتعاركان. أحدهما يصيح «ابعد عن الشر وغني له» والثاني يرد عليه «اللي من إيده الله يزيده». يمكن أن تكون الخصومة بين أكثر من ممثلين بحيث ينقلب المشهد تجاذباً بين مجموعتين متمايزتين. يبدأ المشهد إيمائياًبهلوانياً، ثم يعلو فيه الصخب. وحين يبلغ ذروته، يتدخل حرفوش ليسرد قصة أمه وأبيه. يتم تركيب ديكور المشهد التالي أثناء ذلك. أو مع رواية حرفوش).

حرفوش : **(متأرجحاً)** كان أبي وأمي رحمهما الله يحب أحدهما الآخر. لكنهما كانا يحبان المناكفة أكثر. وكان أعمق أسباب الخلاف بين أبي وأمي مايمكن أن نسميه بلغة زمننا الخط العقائدي، أو الموقف الإيديولوجي. فقد كانت عقيدة أبي رحمه الله «ابعد عن الشر وغني له» وكانت أمي تتفانى في الدفاع عن مبدأ «اللي من إيدُه الله يزيدُه». طبعاً لم نكن نفهم مايعني هذا المبدأ أو ذاك. في النهار تصرخ أمي كلما تعثر أحدنا أو تأذى «اللي من إيده الله يزيدُه». وفي الليل يلقننا أبي «ابعد عن الشر وغني له». ولكن ظهر يوم، وأذكر اليوم كأنه البارحة، عاد أبي مهموماً إلى البيت. كان يعمل عتالاً في المطاحن. يذهب مع الفجر ولا يعودإلا مع غروب الشمس. وفور دخوله البيت بادرته أمي بالسؤال.. لماذا تعود مبكراً؟.. فأجابها.. لأنه لم يعد لدي عمل. ثم روى لها أن العتالين طالبوا أصحاب المطاحن بزيادة الأجور. ومع الأخذ والرد احتد الكلام. وتحول الأمر إلى فتنة، أما أبي فقد فضل أن يتبعد عن الشر ويغني له. لكن

عندما هدأت الخواطر وحصل اتفاق هاج عليه العتالون، ومنعوه من العمل معهم. أما أصحاب المطاحن، فلم يهتموا به أو يحموه. ما إن روى أبي ما جرى حتى احتقن وجه أمي، وصاحت بصوت مقهور.. «اللي من إيدُه الله يزيده..» انفجر الأب بدوره. كلمة من هنا، وكلمة من هناك، ثم تشابكت الأيدي وبدأ الرفس والشتم والتكسير.. يومها بدأت أتبين على نحو غامض الفرق بين «ابعد عن الشر وغني له» و«اللي من إيده الله يزيده». ونعود إلى صاحبنا حنظلة. لاشك أنه وصل إلى بيته. وفي البيت يتوقع أن يجد امرأة تحضنه، وكلمة حنان تغسل آلامه. **(لهجة إعلانية)** نحن الآن في بيت حنظلة.

(سرير. خزانة يمكن الاستعاضة عنها بالحلقة المدلاة. مكنسة. تجلس الزوجة على السرير. يسترها اللحاف حتى بطنها. تبرز أسفل السرير من تحت اللحاف قدمان كبيرتان، وبعيدتان عن المرأة. من الواضح أنهما قدما رجل مندس في الفراش. حنظلة يدخل متلهفاً، ومتعثر المشية. الزوجة تسحب اللحاف لكنها لا تبدي ارتباكاً ملحوظاً).

حنظلة : **(لهجة أسيانة وحنانها صادق)** أكاد لا أصدق أننا نلتقي ثانية. لم تبرحي خاطري لحظة واحدة. كنت أفكر فيك الليل والنهار. أتخيل شعرك، وجهك، نعومة ساقيك. وكان ذلك عزائي الوحيد في المحنة التي ألمّت بي.

الزوجة : تجعلني أذوب! وتخيلت شعري!

حنظلة : **(فرحاً يجلس على طرف السرير، فتشيح عنه الزوجة بامتعاض)** نعم.. هذا الشعر الذي تمشطينه الآن.. أتخيل نعومته، وأدسّ يدي في خصلاته.. **(يحاول أن يلامس شعرها، فتنحّي يده بفظاظة).**

الزوجة : أبعد يدك النجسة.. لا أريد أن تلمسني. أنت تفلت على مزاجك، وأنا مصلوبة هنا أنتظر وحيدة وأشقى. هيء.. وفوق هذا يأتي ليسكب في أذني هذه الأغاني المائعة. وقاحة مابعدها وقاحة.

(القدمان الباديتان تحت اللحاف تفاركان بحركة خشنة).

حنظلة : لو تعرفين أين كنت طوال هذه المدة!

الزوجة : لم أدخل مرة إلى ماخور أو حانة، ولكن أعرف ماذا يدور في المواخير والحانات.

حنظلة : **(مرتبكاً وكسيراً)** أتحسبين أني كنت.. سامحك الله.. بعد كل هذه العشرة تتحدثين وكأنك لاتعرفينني. **(ينبعث من تحت اللحاف عطس مخنوق ترافقه اهتزازة. تعطس الزوجة بدورها لتصرف انتباه حنظلة، ثم تمدد على اللحاف. يخرج حنظلة منديلاً من جيبه ويمسح أنف زوجته بحنان.. لحظة)** ما جرى لي يا زوجتي الغالية، أخطر من أن يوصف. آه لو تعلمين ما جرعوني من العذاب، تصوري.. رموني في زنزانة أسوأ من جحر الفأر. وساطوني بحزامي الجلدي حتى تقطع، ثم انتزعوا مني كل ما ادخرناه. ولو سألت عن السبب، لما عرفت بماذا أجيب. كل ما أعرفه هو أن حزامي تقطع، وجلدي تهرأ، ولم يبق معنا فلس واحد.

الزوجة : **(تدفعه بغضب. يباغت حنظلة ويسقط عن حافة السرير)** ما كان ينقصني إلا هذه البشرى. تغيب عن البيت كالزعر.. تبعثر أموالي ثم تعود لتبيعني الأغاني والتباريح. هذا المسلك الشائن قد تطرب له أمك، أما أنا فلن أمضي أبعد من ذلك. هذه الحياة يجب أن تتبدل وفي الحال. **(ينبعث من تحت الغطاء تجشؤ قوي. تضرب الزوجة على اللحاف وتتجشأ هي الأخرى).**

حنظلة : **(مايزال يحاول النهوض والتماسك)** أنت رفيقة عمري. وتعرفين حياتي أكثر من أي شخص آخر. لم أتأخر يوماً عن وظيفتي، ولم أقصّر أبداً في أداء واجبي. لا أطمع في تسلق المراتب، ولا يوغر صدري أن يكسب الآخرون أكثر مني. أدفع كل ما يترتب عليّ دون أية مماطلة. هذه حياتي مستقيمة كشارع الجلاء. ومع ذلك ها أنا أجد نفسي غارقاً في المصائب ولا أعرف لماذا؟

الزوجة : هذا الخطاب يمكنك أن تبعثه إلى أبيك في الجحيم. لن تنطلي عليّ ألاعيبك بعد اليوم **(ينفجر من تحت الغطاء سعال. تكحُّ الزوجة وتتظاهر بالسعال. ثم تنسل من الفراش، قميص نومها طويل. أذياله تمس أرض الغرفة..)** أي قدر مشؤوم ربطني بك!

(حنظلة يفغر فاهه شارداً، وهو يتفحص القدمين البارزتين من تحت اللحاف).

حنظلة : **(بعد لحظة، ينقل بصره بسرعة إلى قدمي زوجته الواقفة أمامه، لايرى شيئاً لأن المنامة تمس الأرض.. لحظة انشداه)** هل فقدت قدميك؟..

الزوجة : **(تكتشف القدمين البارزتين.. تجلس بسرعة على طرف السرير وهي تشد منامتها إلى الأرض! بصوت بين النائح والغاضب)** وهذه أيضاً! من شدة القهر كدت أنساها. كيف تريد ألا أفقد قدمي! **(تنهض وتتجه بخطى عرجاء نحو المكنسة..)** تجمدتا من البرد وانكسرتا فوق السرير مثل قطع الجليد **(في طريقها تسحب اللحاف، فتغطي القدمين يبرز وجه الرجل من الطرف الآخر.. يرمقه حنظلة بطرفة عين، ثم يشيح بوجهه ويدير ظهره..)** طبعاً في غمرة المجون والعربدة، لم تحس موجة البرد التي مرت. **(يخفي الرجل وجهه تحت الغطاء.**

فيلتفت حنظلة نحو السرير) هربت وتركتني بلا مال. ليس في البيت وقود. وثيابي الشتوية ممزقة، **(تهدده بالمكنسة)** ومع هذا تسأل متصنعاً براءة يوسف **(تقلده)** هل فقدت قدميك؟ لا.. أقولها لك بالصريح والفصيح، لا أعرفك ولا تعرفني، والأستر أن تنقلع فوراً من بيتي.

(يبرز الرجل رأسه من تحت الغطاء، فيخالسه حنظلة النظر، ثم يحوّل عينيه بحركة سريعة وخائفة).

حنظلة : أريد أن أعيش حيث تعيشين. تلك هي القاعدة بين المتزوجين.

الزوجة : **(تندفع نحوه بالمكنسة مهددة)** نعم.. نعم.. هل يمكن الحديث عن الزواج والعش الزوجي، حين يهجر الرجل زوجته، ويبيت في مواخير الدعارة والمجون؟

(خلال كلام الزوجة، ينسل الرجل من الفراش. إنه يرتدي كلسوناً، وقميصاً قصيراً مفكوك الأزرار. يسير على رؤوس أصابعه شاداً قميصه إلى الأسفل وملتفتاً بوجهه نحو حنظلة الذي يقف الآن بشكل موارب. يصل الرجل إلى الخزانة، وحين يختفي وراءها، يلتفت حنظلة إليه).

حنظلة : غريب ما تسمعه أذناي.. وأغرب منه ماتراه عيناي. لا تبدو الأشياء في مكانها. وهذه الغرفة التي كانت ملجأي لم تعد كما ألفتها. ما الذي تغير؟..

(أثناء الكلام، يتجه بخطواته المتعثرة نحو الخزانة. تقفز الزوجة بعصبية، وتكنس حوله جاهدة في صرف انتباهه، ومنعه من الاقتراب من الخزانة. لكن حنظلة يتابع متسللاً خلف الخزانة. فيظهر الرجل أمامها. تجري هنا لعبة الدوران حول الخزانة في مطاردة هزلية، يتوضح خلالها أن حنظلة إما أعمى، أو لايريد أن يرى عشيق زوجته. بعد فترة ييأس

فيها حنظلة من الدوران بلا طائل، يتجه نحو السرير، فتقفز إليه الزوجة، وتمد قدميها من تحت اللحاف. ينحني حنظلة، ويحاول أن يرفع الغطاء).

الزوجة : أعرف ما تبحث عنه. لن ترقد تحت لحافي، ولن أدفّئ عظامك الرخوة بعد اليوم. قلتها لك صريحة وفصيحة. ما بيننا انتهى.

(يزمجر الرجل، وينبح خلف الخزانة. ينتفض حنظلة. ويسقط على الأرض هلعاً).

حنظلة : لا.. لم تعد الغرفة هي الغرفة. الخزانة تهتز واللحاف ينهض.. كأن الغرفة تسكنها العفاريت. بحق الله.. قولي لي.. ألم نكن هنا دائماً ومنذ سنوات؟

(تبدي الزوجة حركات هستيرية، تقلب ملامح وجهها. وتهوم يديها بينما يزمجر الرجل خلف الخزانة).

الزوجة : اسمعها، وافهمها. العصمة بيدي، والبيت باسمي، مسحتك من حياتي، وسحنتك الشبيهة بالفضلات لا تذكرني إلا بالفضلات. في خزانتي كلب غضوب وأنيابه كالمقاصل. إذا لم تنقلع في الحال، سأجعله يطردك بعد أن يمزق إليتيك **(يزمجر الرجل).**

حنظلة : **(يقفز مذعوراً)** سأرحل فوراً.. آه.. كأن بي دواراً. الاضطراب يشوش رأسي، والفزع يخضّ معدتي. بالتأكيد لن أستطيع الاحتمال طويلاً. **(يجرجر نفسه، مغادراً الغرفة)** لاتريد أن تغفر لي، وترفض أن نعيش معاً كما في الماضي. يقيناً أنه سريري. وتلك مخدتي، لكنها تطردني. ماذا فعلت لها؟ ماذا فعلت لهم لماذا يحدث لي مايحدث؟ **(بصوت واحد ينفجر العشيق والزوجة، بقهقهة صاخبة.. يظهر حرفوش..).**

حرفوش : تعاسة التعاسة.. الزوجة لم تفتح حضنها. والبيت طرده، وأغلق بابه. لكن حنظلة مازال لديه وظيفة. والأحزان لا تنسيه واجبه. اتجه متعثراً إلى عمله. سيعتذر عن الغياب، ويستعيد وراء مكتبه مايفتقد من الأمان..

(لهجة إعلانية) المشهد الآن في بنك الازدهار والعمارة..

عند المدير

(طاولة يجلس وراءها مدير الدائرة. يبدو منهمكاً بعمله. مراجعة أوراق وتوقيع معاملات. يدخل حنظلة مرتبكاً. يخرج من جيبه ساعة عتيقة ذات سلسال، ينفجر رنين منبه. يضطرب ويسرع بإعادة الساعة إلى جيبه. يتقدم نحو المدير، ويحييه باحترام متَّضع. المدير لايعيره أي اهتمام).

حنظلة : أسعد الله أوقات سيدي المدير. ها أنذا أعود، وأرجو من صميم فؤادي ألا يكون غيابي قد سبب ارتباكاً في العمل. لو تعلم يا سيدي المدير ماجرى لي. رموني في السجن دون سبب. لقد أعلنت لهم أني موظف، وأعمل في مؤسسة محترمة هي بنك الازدهار والعمارة. لكنهم انهالوا عليّ بالضرب والرفس، فلم أجرؤ على قول شيء.

المدير : عمَّ تتحدث أيها السيد؟ لا أذكر أني رأيتك من قبل. ومغامراتك البوليسية لاتعنيني. أما إذا جئت تطلب صدقة، فقد أخطأت العنوان. هنا بنك وليس داراً للإحسان.

حنظلة : **(يفتش في جيوبه محرجاً.. ثم يخرج بطاقة الاستخدام)** يا سيدي المدير.. هذه البطاقة تثبت أني موظف في هذه المؤسسة. الاسم مدوَّن فيها، وكذلك نوع العمل. منذ سنوات طويلة وأنا أعمل في هذا البنك عدّاد فراطة. أدخل هذا الباب في تمام الثامنة، ولا أخرج منه إلاّ بعد الثانية.

المدير : ذاك تاريخ قديم لايمكن إثباته أو تذكره. عندما يترك المستخدم عمله دون إجازة، أو عذر مقبول يسرح من العمل، ويحل واحد آخر محله. هذا كل شيء، ولن ينفعك توسل أو احتجاج. **(ينصرف المدير عنه ويغرق في عمله).**

حنظلة : يا سيدي المدير.. عمري ما قصرت في عملي. وأرجو أن تتذكر أنك امتدحتني. أي نعم.. أنت نفسك امتدحتني ثلاث مرات. وتأكد أني أتذكر هذه المرات كما أتذكر الأعياد والمناسبات الكبيرة. عمري ما ارتكبت خطأ في عملي، ولا تسربت هفوة إلى جداولي.

المدير : إنك تضيع وقتي. وقتي الآن ملك البنك. ووقت البنك ملك الدولة. ووقت الدولة.. أفّ بدأت أنرفز.

حنظلة : أرجوك يا سيدي المدير أن تقدر وضعي. ماذنبي إذا كانوا قد اعتقلوني دون ذنب! صحيح كان ينبغي أن أخبر عن غيابي الاضطراري، لكن أحداً لم يبال بالإصغاء إلي.

المدير : وهل تريد أن أضيّع الدوام بالإصغاء إليك؟ لا.. إنك تتجاوز كل الحدود.

حنظلة : أعدك أن أضاعف همتي، وأؤدي عمل موظفين معاً.

المدير : الفراطة لاتحتاج إلاّ إلى موظف واحد، وأمثالك لا عمل لهم في هذه المؤسسة، فانقلع من أمامي.

حنظلة : أتسلبني عملي، وترميني إلى الشارع؟

المدير : لم يبق إلا أن تحرّض الموظفين. وتبثّ دعاوى الشغب والتمرد.

حنظلة : لا أطلب إلاّ حقي..

المدير : حقك الوحيد هو أن تنقلع من هنا بالحسنى. لكن أمثالك لاينفع معهم اللين **(يرن جرس المكتب)** إليّ بالحارس. **(يدخل الحارس)** أمسك هذا الرجل من ياقته، وارمه مع القمامة في الشارع.

حنظلة : **(مضطرباً وخائفاً)** لاتغضب يا سيدي المدير.. لا تغضب.. سأخرج في الحال. أهذه مكافأة الأمانة إذن؟ أهذا هو تعويض الإخلاص في أداء الواجب؟..

في الهواء الطلق

حرفوش : **(يحمل بيده مجلة النجوم).**
كل الأبواب أُغلقت في وجه حنظلة. حقاً تحمّل مايكفي من الآلام، فهل نواسيه؟ قد يفيده المسكّن قليلاً، لكن تشخيص الداء يفيده أكثر. نحن الآن في الحديقة.
(أثناء التقديم الماضي يوضع مقعد في حديقة.. ويتقدم حنظلة في حالة انهيار.. يصل إلى المقعد ويرتمي عليه. يلاعبه حرفوش ويسحب المقعد من تحته، فيقع على الأرض..).

حرفوش : **(وهو يتقدم منه لا مبالياً وساخراً)** أخطر مايصيب السلحفاة هو أن تنقلب على ظهرها.

حنظلة : هذا مايحدث. أهمُّ بالجلوس على مقعد، فينسحب من تحتي وأسقط. ما أفدح مصائبي!

حرفوش : أهي قاسية؟

حنظلة : تنهال على رأسي كضرب العصي.

حرفوش : اللي من إيده الله يزيده.

حنظلة : **(باكياً بطريقة مضحكة)** أردت أن أبوس قدمه، لكنه لم يصغِ إليّ.. لم أتأخر يوماً ولو دقيقة. لم تبقع سجلي عقوبة أو ملاحظة. بعد عشر سنوات من العمل المتفاني، رموني كالذبابة إلى الشارع، وعيّنوا آخر غير مدرَّب مكاني.

حرفوش : قد يلائمك أن تتباهى. ماهي هذه الوظيفة التي تحتاج إلى المران والخبرة الطويلة؟

حنظلة : **(مجروحاً)** هل تستهين أيها السيد بوظيفة عداد الفراطة. إنها وظيفة حساسة وكلها مزالق. تأتي الأكياس الثقيلة المعبأة بمختلف القطع النقدية. فتتكدس على المكتب. أفتحها

واحداً بعد الآخر وأنضّد كل فئة على حدة. الأرباع، الأنصاف، الليرات، ثم أجمعها، وأسجلها في الدفاتر المنظمة. لاينبغي أن تضيع قطعة، أو تتسرب من فئة إلى فئة. عمل شغفت به، وأصبح نصف حياتي. ولكن ماهي النتيجة؟..

حرفوش : لم تكن إلا برغياً في الآلة. والبرغي يمكن أن يبدَّل ببرغي. عملك يؤديه الآن رجل آخر. وهذا يعني أن من الممكن الاستغناء عنك واستبدالك.

حنظلة : عداد الفراطة برغي؟

حرفوش : أي نعم. ماهو إلاّ برغي، وبرغي صغير جداً.

حنظلة : أنت تذبحني. ما أفدح مصائبي! ألا يمكن أن أجد شخصاً يتلطّف معي قليلاً؟

حرفوش : ألم يكن حضن امرأتك لطيفاً ودافئاً؟

حنظلة : آه.. تلك هي أفدح المصائب.. كنت آمل أن أجد لديها الطمأنينة والراحة، لكنها استقبلتني بضربات المكنسة. طردتني من البيت، وفضلت أن تبقى تحت اللحاف الدافئ وحدها.

حرفوش : أمتأكد أنها بقيت وحدها؟

حنظلة : متأكد ومتيقن أنها كانت وحيدة في السرير، لاتصحبها إلا قدماها اللتان تجمدتا من البرد، وسقطتا على الفراش. لم يكن في البيت نار، فنفذ البرد إلى عظامها.

حرفوش : العقرب يلدغ، والثور يطول قرناه.

حنظلة : ماذا تعني؟ صحيح.. امرأتي من برج العقرب، وأنا من برج الثور، وهما برجان أحدهما للآخر كالقدر وغطائه.

حرفوش : أما لاحظت أن القدمين لهما شاربان، وأنهما ترتديان قميصاً وكلسوناً، وفوق هذا تلعبان الاستغماية. طبعاً لم تشأ أن

ترى، فأنت لا تدس أنفك فيما لايعنيك.

حنظلة : **(ينتفض مهاناً)** ماهذا القول؟ امرأتي عمرها ما كذبت عليّ، ولا فكرت بخيانتي.

حرفوش : اللي من إيده الله يزيده..

حنظلة : هل تريد أن أكذّب عيني، وأتخيل أنه كان في البيت رجل. **(فجأة يمسك رأسه بيديه ويطرق باكياً)**.

حرفوش : اللي من إيده الله يزيده..

حنظلة : ماكان أحلى تلك الأوقات التي نقضيها معاً.. أعود بعد إرهاق العمل إلى عشنا الناعم. ألبس بيجامتي، وأسترخي على الكرسي الهزّاز. هي تقلّم أظافرها، أو تنتف الزغب عن ساقيها الملساوين، وأنا أقرأ لها مجلة النجوم وماتقوله الأبراج، ثم زادت لدينا المتع والمسرات بعد أن اشترينا المذياع.

حرفوش : الآخر لا يحتاج إلى بيجاما، لكنه يجلس على كرسيك. ويريح رأسه على مخدتك. في البنك يمكن استبدال عداد الفراطة.. وفي البيت يمكن استبدال الزوج.

حنظلة : **(كالطفل يبكي. ويفرك الأرض بقدميه)** آه.. لماذا يحدث لي مايحدث؟ ماذا فعلت لهم؟ ألا يمكن أن أجد أي عون؟

حرفوش : لماذا لاتستشير النجوم؟ هل أقرأ لك مايقوله برج الثور؟

حنظلة : **(بفرح حقيقي)** نعم.. نعم.. لابد أن ذلك سينير لي بعض هذا الغموض الذي يلفّني.

حرفوش : **(وهو يقلب في المجلة)** الثور.. الثور.. الحمل. الثور.. ها هو. هل تصغي؟

حنظلة : نعم..

حرفوش : **(يقرأ)** الثور.. وجع رأس أو أسنان سببه حالتك العصبية. عالج الأمر دون تأخير. يعرض عليك عمل إضافي فيه ربح

وفير. من الجائز أن تندم على القبول به لشعورك بالإرهاق المفاجئ. لاتحمّل نفسك أكثر من طاقتها. حيوية ونشاط كبيران في الحب. حافظ عليهما قدر محافظتك على الحبيب. استمع لصوت قلبك واعطِ من مالك بعض الشيء. نصيحتنا: اتبع حدسك فهو مرشدك ودليلك. يوم السعد الأحد رقم الحظ ١٠.

حنظلة : **(مبهوتاً)** عمل إضافي.. حيوية.. و..

حرفوش : نشاط كبيران في الحب. حافظ عليهما قدر محافظتك على الحبيب.

حنظلة : وأعطِ من مالك..

حرفوش : بعضِ الشيء.

حنظلة : **(باكياً)** لاأملك أي مال.. أما أني مريض، فهذا صحيح. لم يعد بوسعي أن أفعل أي شيء. أنا مريض، ولا أستطيع أن أتحمّل الأوجاع أكثر.

حرفوش : إذا كنت مريضاً بالفعل، فسأقودك إلى الطبيب مباشرة.

حنظلة : ليس لدي ما أدفعه للطبيب.

حرفوش : أعرف طبيباً مولعاً بالحالات المرضية النادرة وتشريح الجثث. ستتمدد على سرير العمليات. يفتح رأسك، ويغوص بمشارطه وأصابعه الماهرة، حتى يصل إلى التجاويف المظلمة حيث يكمن الداء.

(ينكمش حنظلة مرتعباً. يتكوّم متشبثاً بالأرض، بينما يحاول حرفوش أن يحمله على النهوض. في النهاية يرفعه، ويجبره على السير).

حرفوش : لاتخف. عندما تخرج يده الماهرة من تلافيف دماغك، ستحس فوراً أن حالتك صارت أفضل. إنه اختصاصي بارع واختصاصه هو الطب البسيكو ـ إعلامي.

حنظلة : البيكو..

حرفوش : البسيكو..

حنظلة : البسيكو..

حرفوش : البسيكو - إعلامي.

حنظلة : (راضخاً) اللهم اجعله خيراً.

في عيادة الطبيب

(تزداد الحركة سرعة. والإيقاع له طابع أفلام الكرتون)

حرفوش : **(معلناً)** والآن نحن في عيادة الدكتور الاختصاصي في الطب البسيكو - إعلامي **(تدخل ممرضة بسرعة، وهي تدفع أمامها منّصة العمليات الجراحية. حرفوش يضع حنظلة على المنصة. ثم يتناول مريلة بيضاء معلقة على الحائط ويرتديها. يدخل الطبيب بمهابة. يضع نظارات طبية. ويرتدي ثياب جرّاح يتأهب لإجراء عملية. الكمامة المعقمة محلولة. وتتدلى أسفل ذقنه. الممرضة تمدد حنظلة على المنصة. وتسوّي وضعه. الطبيب يدور حوله وهو يمعن في التأمل. حرفوش يحذو حذوه، فيدور باتجاه معاكس. يمكن أن تحدث بعض المفارقات الحركية بين الطبيب وحرفوش والممرضة)**.

حرفوش : هذا الزبون حالة مثيرة. معاينته قد تقود إلى كشف علمي جديد، وشفاؤه سيضيف إلى مآثرك واحدة أخرى.

الطبيب : **(وهو يتأمل حنظلة بإمعان أكثر)** الأعراض بادية. لا أشك أن الحالة مستعصية. لكن كلما استعصت الحالة، اتسعت آفاق البحث، واغتنت إمكانيات اختصاصنا الطبي. بفضل تنوع الحالات، ودأب فريق من الأخصائيين مثلي، أحرز الطب البسيكو - إعلامي تقدماً خارقاً. بعض الأمراض التي كانت تعتبر وبائية وميؤوساً منها، أصبح علاجها أسهل من الزكام. **(يتخذ الأداء طابع الإعلانات التلفزيونية والمظاهرات الإعلامية)**.

الممرضة : الاكتئاب المزمن.

الطبيب : والإحباط الجنسي.

حرفوش : والشبق السياسي.

الممرضة : والانقسامات الطبقية.

حرفوش : وحالات القلق الوطنية.

الطبيب : **(وهو يباعد بين حرفوش والممرضة اللذين يهمّان بالعناق. حنظلة يضع وجهه بين يديه راكعاً فوق المنصة. يصغي إلى الحوار ذاهلاً)** تلك مجرد عينة من الأمراض التي أصبح علاجها ميسوراً في عيادتنا. إن التقدم الذي أحرزه الطب البسيكو ـ إعلامي جعله واحداً من أهم أسس الاستقرار في المجتمعات المعاصرة.

حرفوش : وتدعيم الأنظمة القائمة.

(الحوار يتخذ طابع المظاهرة أو العراضة الشعبية... حرفوش يتناوش مع الممرضة، والطبيب يباعد بينهما).

الطبيب : من يساعد الفرد على التكيف مع واقعه؟

الممرضة : إنه الطب البسيكو ـ إعلامي.

حرفوش : من يحوّل المواطن وديعاً كالحمل صبوراً كالجمل؟

الممرضة : إنه الطب البسيكو إعلامي.

حرفوش : من يجعل المواطن يتحمل القمع والفقر والفساد؟

الممرضة : إنه الطب البسيكو إعلامي.

حرفوش : **(تتسارع اللهجة)** أزمات السكن والنقل والتموين.

الممرضة : الطب البسيكو- إعلامي.

حرفوش : احتلال الطنب الكبرى والطنب الصغرى، وضياع فلسطين.

الممرضة : الطب.

حرفوش : التجزئة.

الممرضة : البسيكو..

حرفوش : الهزائم والمذابح.

الممرضة : الطب البسيكو ـ إعلامي.

الطبيب : اختصاصنا، ولا أحب المباهاة، هو معجزة العصر.

المرضة : تقول آخر الإحصائيات الدولية.. إن هناك انخفاضاً ملحوظاً في نسبة الاضطرابات الاجتماعية، والانتفاضات الشعبية.

حرفوش : وارتفاعاً ملحوظاً في عدد حالات الجنون الفردية.

حنظلة : **(وهو يرتعد)** إني خائف.

الطبيب : الحديث عن منجزاتنا يطول. **(ينزل حنظلة عن المنصة. إلى الممرضة)** مدّديه على المنصة، وساعديه على الاسترخاء.
(يخف حرفوش والممرضة، ويمسكان بحنظلة.)

حرفوش : أين تذهب؟..

حنظلة : لا أريد.. إني خائف.. دعوني أخرج.
(أثناء تمديده تحدث بعض المفارقات الحركية).

الطبيب : **(يقترب من حنظلة متخذاً هيئة خطيرة ومتأملة.. بعد لحظات يعطي إشارة للممرضة)** جو رقم ٣٠٠ معاينة. **(تهرع الممرضة إلى لوحة أزرار. تضغط على زر. تتغير الإضاءة.. تضغط على زر آخر فتنبعث موسيقا. فترة. يحاول حرفوش خلالها أن يراقص الممرضة، أو يعاكسها).**

الطبيب : **(إشارة إلى الممرضة)** تسجيل الأعراض الظاهرية. **(تهرع الممرضة وتتناول سجلاً ضخماً، أو دفتراً صغيراً جداً في جيبها وتتهيأ للتسجيل)** لون الجلد طيني، العينان دمعيتان، الأجفان اهتزازية، ملامح الوجه إنتانية. **(يقترب من وجهه ويشمه)** الرائحة عطن بولي. **(إشارة من إصبعيه للممرضة.. فتسرع وتناوله مطرقة كبيرة. يصوبها الطبيب فوق الرأس.. تصطك أسنان حنظلة، وتجحظ عيناه من الرعب، يلتفت الطبيب نحو الممرضة)** نوبات اصطكاك أسنان. وجحوظ عينين. **(ينقل المطرقة ببطء فوق حنظلة حتى تصبح فوق ركبته، يهوي على ركبته. فتندفع ساقه في الهواء وتصيب قدمه الطبيب الذي يتكئ على الممرضة، يحضنها ويسقط وإياها على الأرض. يساعدهما حرفوش على النهوض.**

الطبيب بهدوء) كبت مزمن والاستجابة العصبية موتورة. **(يدور الطبيب عدة مرات حول المنصة، تتسارع الموسيقا بشكل واضح. فجأة يهجم على حنظلة، وبحركات متعاقبة وسريعة جداً، يمسك يده في حركة قياس النبض. يضع السماعة بحركات مضحكة على كل بقعة في جسمه. إشاره للممرضة. تقلب حنظلة على ظهره. يتابع الفحص بالسماعة..)**

حرفوش : هل بدأت تنجلي حالة صاحبي يادكتور؟

الطبيب : هناك كتلة عصيانية في مكان ما.

حرفوش : أهي خطيرة؟

الطبيب : قد نجد الجراحة ضرورية.

حنظلة : **(مرتعداً، يحاول النهوض. فتجلس الممرضة على رجليه)** أرجوك أيها السيد الطبيب. كلمة الجراحة ترعبني. لا أريد أن تقطع شيئاً من جسمي المسكين.

الطبيب : افتح فمك.. ساعداني.

(يمسك حرفوش والممرضة جذع حنظلة ورأسه، ويجبرانه على فتح فمه. يتاول الطبيب مصباحاً يوجهه إلى داخل الفم.

حرفوش : أيّ منظر.. أيّ منظر!

الطبيب : **(ينظر إليه بجدية)** ماذا رأيت؟

حرفوش : قناة تبدأ مستقيمة، ثم تلتف وتلتف.. وفي نهايتها ثقب قذر. أهو الثقب الشرجي يا دكتور؟ **(بحركة غريزية يحاول حنظلة أن يغطي مؤخرته بيديه)**.

الطبيب : الاحتمال وارد... **(إلى حنظلة)** قل آ..

حنظلة : أو..

الطبيب : آ...

حنظلة : أوو..

الطبيب : حقا إنها حالة مستعصية **(يعطي إشارة للممرضة)** جو رقم ٥،

معاينة الاستجابات الذهنية.

(تضغط الممرضة على أزرار جديدة. تتغير الموسيقا، وترقّ.. كذلك تتبدل الإضاءة، تصبح خافتة جداً، باستثناء البقعة التي يوجد فيها حنظلة.. الممرضة وحرفوش يساعدانه على الجلوس ويسندانه. صوت الطبيب في المشهد التالي، متكلف الرقة وأنثوي).

الطبيب : قل لنا ماذا يمثل كل رسم نعرضه عليك الآن... **(يعطي إشارة البدء للممرضة فترفع اللوحة الأولى).**

حنظلة : قمر.

الطبيب : دائرة.

(ترفع الممرضة اللوحة الثانية).

حنظلة : نونية.

الطبيب : تاج.

حنظلة : **(اللوحة الثالثة)** سجن.

الطبيب : سور حديقة.

حنظلة : **(اللوحة الرابعة)** تنورة.

الطبيب : أباجورة.

حنظلة : **(اللوحة الخامسة)** سوط.

الطبيب : حزام جلدي.

حنظلة : **(اللوحة السادسة)** حمالة نهدين.

الطبيب : نظارتان.

حنظلة : **(اللوحة السابعة)** ثقب مفتاح.

الطبيب : شجرة.

حنظلة : **(اللوحة الثامنة)** دودة.

الطبيب : عصا.

(تعود الممرضة فتعرض اللوحة الأولى).

حنظلة : **(مبدياً شطارة)** دائرة.

الطبيب : قمر. **(بلهجة ظفر)** العلة واضحة. تشوّش في الاستجابة الذهنية مع اختلاطات هذيانية.

حنظلة : **(محنقاً)** بالفعل تبدو لي الأشياء مقلوبة أو مشوهة. رأسي طنجرة مليئة بالمصارين والنخالة. كيف أستطيع أن أفهم أو أرى بوضوح؟

الطبيب : من أعراض العلة أيضاً الشعور بالاضطهاد، والميل إلى التذمر والاكتئاب. أعتقد أن الجراحة ضرورية، وسننتزع جذور العلة من هذا الوعاء الثمين **(إشارة للممرضة)** جو رقم تسعة.. جراحة دماغية. **(تبدل الممرضة الموسيقا والإضاءة. الطبيب يتهيأ ويمد يده. تناوله مفتاحاً ضخماً. يدير المفتاح في رأس حنظلة محدثاً صريراً حاداً. يرفع غطاء الرأس. تسرع الممرضة وحرفوش للنظر إلى الدماغ المفتوح، يصطدم رأساهما.)**

الممرضة : آه الدماغ! أية معجزة!

حرفوش : مفتوح أمامنا كصندوق تتكدس فيه الأسرار والغرائب.

الطبيب : في هذا الصندوق، تتكدس أيضاً أتربة وعاديات مهترئة. الغسيل ضروري وإعادة ترتيب التلافيف سيمنع تراكم الغبار، وتقرحات الحزن. **(إشارة إلى الممرضة. تناوله ملقطاً كبيراً، فيبدأ الطبيب في تحريكه داخل الرأس. يضحك حنظلة وكأنه يدغدغ بعنف. ويرفس بقدميه. يتعاون حرفوش والممرضة على تثبيته)** سنجري عدداً من التنقلات بين المراكز العصبية القيادية.

(يستمر في تحريك الملقط، بينما تتسارع الموسيقا، إشارة للممرضة. تتناول الملقط من يده، ثم تعطيه سكرية. يرشّ منها قليلاً فوق الدماغ. يعيدها للممرضة فتناوله زجاجة فيها زيت. يصب قليلاً من الزيت داخل الرأس، بعدها يرش بعض المواد

الأخرى).

الطيب : **(بعد أن ينتهي يفرك راحتي يديه. بلهجة ظفر)** بديعة هذه المهنة، والأبدع أن تمارسها يد مجرّبة. الدماغ بعد أن غسل وشُحّم يعمل بدقة محرك جديد.

حرفوش : شيء سار أن يرى المرء كيف تتجدّد الأعضاء المعطوبة، وتدبّ فيها حياة ثانية **(يغلق الطبيب رأس حنظلة الذي تتملكه نوبة من الضحك العصبي أو الهيستيري).**

الطبيب : مهمتنا انتهت، وهذا الفرح الضاحك يثبت أنها نجحت.

حرفوش : كل الأعضاء المعطوبة جُدِّدت. وصديقنا حنظلة، سيجد السبيل إلى الهناء، كأنه سمكة أعيدت إلى الماء.

(إظلام).

في الهواء الطلاق

(بعد قليل يظهر حرفوش متقدماً من الجمهور.. لم يظهر حنظلة بعد)

حرفوش : هل يستمر في غفلته طويلاً، أم أنه يهتدي إلى الفهم قريباً؟!

(يدخل حنظلة. هيئته غريبة. تأخذه نوبات من الضحك، وأحياناً يطوّح بيديه وساقيه في الهواء).

حنظلة : أين أنت يا صديقي؟ أشعر أن حالي غريب. يبدو أن مرضي تفاقم **(يطوح بساقيه، ويديه. نوبة ضحك عصبي).**

حرفوش : لا.. إنك تبالغ. لم تمض سوى دقائق على خروجنا من عيادة الطبيب الماهر. ألم تسمعه يقول بعد المعاينة الدقيقة، والجراحة الناجحة، إنك الآن معافى الجسم والعقل!

حنظلة : أيليق هذا الضحك بعد كل ما جرى لي! أولاً اعتقلوني في رابعة النهار، وثانياً سرقوا مالي دون تعويض، وثالثاً طردني المدير من عملي، ورابعاً بالت عليّ زوجتي.. وبدلاً من أن أبكي.. انظر.. إني لا أستطيع أن أتوقف عن الضحك. هذا لامعنى له، إني أضحك على نفسي. **(يغرق في نوبة جديدة من الضحك).**

حرفوش : **(مصفقاً بيديه)** بدأ يفكر.. بدأ يفكر..

حنظلة : **(يتوقف فجأة عن الضحك. تتدلى شفته السفلى ببلاهة)** أفكر.. أنا أفكر..

حرفوش : الملاج يعطي مفعوله. دع عقلك الذي خرج لتوه من التنظيف، يحلق ويكشف ما خفي عليك.

حنظلة : **(يتحسس رأسه، بالبلاهة نفسها)** عقلي.. إنك تتلاعب بي.

كلّ ماحولي معتم. ويصعب عليّ تمييز الخيط الأبيض من الأسود.

حرفوش : ألا تشعر بأي تحسن؟

حنظلة : بل ازداد حالي سوءاً. أحس أن أطرافي تنفك عن جسدي. **(تباغته نوبة الضحك)** وهذا الضحك أيضاً!

حرفوش : إنك تضحك على الأقل.

حنظلة : **(بين الضحك والبكاء)** مصيبة أخرى فوق مصائبي.. ألا يوجد واحد عنده حل لي؟

حرفوش : اسمع.. لدي فكرة.

حنظلة : نعم..

حرفوش : هناك درويش عرفت عنه كرامات كثيرة. يقال إن فراسته لا تخطئ. ومن أمارات الرجل يستطيع أن يميز طباعه، وينفذ إلى العلل التي تنخر الروح والبدن. درويش شديد الورع والتقوى. نافذ النظرة. تقام في زاويته الأذكار. ولا يضنُّ بالمعرفة على القصّاد. أعتقد أن زيارته ستنفعك. وقد تجد لديه الحل الذي تبحث عنه.

حنظلة : **(بحبور وجذل. تتطوح أطرافه)** ليتنا نذهب إليه على الفور. درويش ورع وله كرامات، سيعرف حتماً كيف يدلني على الصواب.

حرفوش : إذن، سأصحبك إليه.

حنظلة : **(تكسو البلاهة وجهه)** اللهم انفعنا ببركته.

حرفوش : **(بصوت إعلاني، وهو يمسك حنظلة من يديه ويجره)** عند الدرويش صاحب الكرامات.

عند الدرويش

(ظلام.. تنفجر أغاني المولوية.. بعد فترة تكفي لوضع قطع الإكسسوار وتجهيز زاوية الدرويش.. تبدأ حزمة من الضوء تتأثر على الدرويش، الذي يجلس على مايشبه المصطبة. حوله جو ديني يعبق بالبخور.. بيده مسبحة ضخمة جداً تتدحرج حباتها على الأرض. طاسة ماء. دواة وريشة لكتابة الرقي والتعاويذ. لوحات شعبية عن الخرافات الدينية. يقف حنظلة أمامه منحنياً بخشوع. بينما يقف حرفوش على مبعدة منه، يقوم بين حين وآخر بحركات ساخرة).

حنظلة : يا سيدي الدرويش اسمي حنظلة.

الدرويش : الاسم في السيماء، وسبحان من يمتحن عباده بالمحن، ويبلوهم بالبلاء.

حنظلة : ما أنا إلا عبد مؤمن. وفي حياتي لم أسلك إلا طريق الاستقامة.

الدرويش : لاتتباه يا عبد الله، فإنه لايحب الذين يتباهون.

حنظلة : اغفر لي يا سيدي الدرويش.

الدرويش : هو وحده غفّار الذنوب. اللهم اغفر لنا ماتقدم، وما تأخر من ذنوبنا.

حنظلة : **(بدأ يتلعثم)** لم أقصد التباهي. لكن.. كيف أقول لك ياسيدي. إن أموري في هذه الدنيا، وأمور هذه الدنيا تحيرني. ما آذيت في حياتي إنساناً. لم أطمع أبداً في مركز من هو أعلى مني، ولا حسدت من هو أغنى مني. كل ما أسعى إليه هو أن أقضي حياتي مستوراً وآمناً. ومع هذا فإن كل الأمور تجري معكوسة.. إذا مشيت تعثرت، وإذا جلست انزاح

الكرسي وتشقلبت. لماذا يحدث لي مايحدث؟ لابد أن هناك سبباً مستوراً. وأنك تستطيع بعلمك الواسع، أن تساعدني على اكتشافه ومعرفته.

الدرويش : لا تلحف في السؤال. لأن السؤال يقودإلى الضلال. ولا تفقد الرضى لأن الرضى أثمن نعم المولى.

حرفوش : يا سيدي الدرويش، أرجو ألا تسوءك جِشريّتي. أترضى إذا طردوك من عملك، وسدّوا باب الرزق في وجهك؟

حنظلة : **(فرحاً)** فعلاً، هذا ماينبغي أن أسأله.

الدرويش : وأحمد الله أني المطرود لا الطارد.

حنظلة : **(بلاهة، ثم تصيبه نوبة الضحك)** أحمد الله أني مطرود.

حرفوش : وإذا اعتقلوك دون جرم؟

الدرويش : أحمد الله أني المظلوم لا الظالم.

حرفوش : وإذا جردوك من كل ماتملك؟

الدرويش : **(بدأ الحنق يظهر عليه)** أحمد الله أني المسروق لا السارق.

حرفوش : وإذا طردتك امرأتك، لأن هناك رجلاً يتدفأ تحت لحافك.

الدرويش : أفرمها **(يتوقف، يمسح بكفه على وجهه، يستعيد رواء قسماته ويتصنع الابتسام)** أحمد الله أني الحافظ فرجه لا المفرط به.

حرفوش : **(ساخراً)** ما أبهى نفساً يتلألأ فيها هذا الرضى! أما صاحبي فإنه يتوجع وينوح بدلاً من أن يتلألأ.

حنظلة : **(بلاهة. وهو يتفرس في الدرويش وكأنه أعجوبة)** يا سيدي الدرويش.. أيصيبك هذا كله، ولاتسأل لماذا يحدث لك ما يحدث؟

الدرويش : السؤال يقود إلى الشك، والشك إلى الضلال. أما الرضى فيقود إلى الحمد، والحمد إلى الإيمان.

حنظلة : من قبل لم يراودني أي سؤال، وكان الرضى يغمرني في

النوم واليقظة. لكن أشعر أني أصحو بعد رقاد طويل في قفر، وكل ماحولي مرعب وغريب. لا.. إني مريض يا سيدي. لاأستطيع أن أتحمل أكثر. أتوسل إليك أن تجد لي حلاً.

الدرويش : لا حلّ إلا أن تطهر نفسك من الشك والوسواس. داؤك في نفسك لا في بدنك.

حرفوش : **(يقفز، يحمل المبخرة ويدور بها حول حنظلة الذي يبدو في غاية الاضطراب)** تطهَّر يا عبد الله تطهَّر.

الدرويش : دع الأسئلة، فهي منفذ الشيطان إلى القلب. وفتش عن الرضى.

حرفوش : تطهَّر يا عبد الله.. تطهَّر..

حنظلة : لاقدرة لي. منذ أن أوقفت بلا ذنب تهاجمني الأسئلة كالحكة.

الدرويش : تلك هي حكّة الشيطان.

حرفوش : تطهَّر يا عبد الله تطهَّر..

حنظلة : **(يرتعد)** حكّة الشيطان! **(يرتعش ويقفز كأن الشيطان مسّه)** خلصني يا سيدي خلصني.

حرفوش : تطهَّر يا عبد الله تطهَّر.

الدرويش : سنكتب لك حرزاً يلجم الشيطان، لكن نفعه مع الذكر أوفى.

حرفوش : الجأ يا عبد الله إلى الذكر، واطرد شيطانك.

الدرويش : الجأ يا عبد الله إلى الذكر، واطرد شيطانك.

(يتناهى غناء الذكر، يبدأ حنظلة بالتمايل مع الغناء، بينما يبدأ الدرويش في كتابة الحرز).

حرفوش : **(غامزاً)** الحرز أصلي يا سيدي الدرويش؟

الدرويش : **(بامتعاض)** لم يعرف عنا الغش أو التقليد. بسم الله الرحمن

الرحيم.. (يعلو الغناء، وينغمر حنظلة في الذكر.. يستمر المشهد حتى ينتهي الدرويش من كتابة الحرز. يتاول حرفوش الذي يصيح بين حين وآخر «الله حي». تتلاشى الإضاءة تدريجياً، ويظهر تداعي حنظلة الجسدي).

في الهواء الطلق

(بعد أن يصمت الغناء نهائياً. تغمر المسرح إضاءة عادية. حنظلة متمدد على الأرض يئن، وحرفوش يركب الأرجوحة مرحاً، يفتح الحرز.)

حرفوش : **(ضاحكاً)** لم يعرف عنا الغش أو التقليد.. هذا الحرز ينفع إن شاء الله للمحبة ووسوسة الشيطان، والعين والنظرة والشقيقة والصداع والضارب والسرطان والرمد والرعاف وحل المربوط وخلاص المسجون وبكاء الأطفال والفزع والبيع والشراء وسفر البر والبحر والمرأة المتعسرة الولادة والبنت البائر المعتوقة قاف.. هاء.. قاف.. هاء.. كل شيء كل شيء احجبوا عن حامل كتابي شر كل شيء يؤذيه بحق هذه الأسماء وبحق هذا الخاتم **(يتجه نحو حنظلة)** انهض يا صاحبي واستبشر، بفضل هذا الحرز وكرامة الدرويش لن ينالك الأذى بعد اليوم. **(يختلج جسد حنظلة، وكأنه مايزال تحت تأثير الغناء ثم يهمد)** آه ما أعذب أن يغفو المرء بعد أن تشمله الطمأنينة.

حنظلة : **(توجع وأنين)** لا أقوى على النهوض. رأسي تعج بالذباب **(يحاول أن يلملم جسده ويجلس)** جسدي كله دمامل ورضوض. ضرب الحزام لم يكن أوجع **(فجأة يتأرجح رأسه ذات اليمين وذات الشمال في حركة آلية ولا إرادية كأنه يسمع إيقاع الزار. يحاول أن يوقف رأسه بيديه. لايفلح. صارخاً بحنق ورعب)** أوقف لي رأسي. **(يقبض حرفوش على رأس حنظلة. ويثبته بعد جهد. يتجمد الرأس وترتخي القسمات في تعبير ذاهل كأنها قناع. ثم تأتي نوبة الضحك.**

يطبق حرفوش يده على فمه، إلى أن يهدأ.. يضرب كفاً بكف) والله كمُلت معي. فوق كل الأوجاع هذا الضحك، ودوار في رأسي. آخ إني دائخ. كل مافي ذهني تشوَّش أكثر من قبل. ماعاد هناك أمل في أن أفهم أي شيء.

حرفوش : كم تحب التأفف! من الطبيعي أن ينالك بعض التعب والاضطراب. خروج الشيطان من البدن المسكون، يسبب دائماً صدمة عنيفة، وقد يؤدي إلى الجنون أحياناً.

حنظلة : خروج الشيطان!

حرفوش : نعم.. أما سمعت سيدنا الدرويش! كان الشيطان يغويك. بالذكر فزع الشيطان وفرّ، وهذا الحرز الذي كتبه لك سيرد غوايته عنك. **(يدس له الحرز في صدره)** الآن تطهرت، وبعد قليل ينجلي ذهنك، ويغمرك الرضى كالموجة الدافئة.

حنظلة : **(بعنف وهو يدق الأرض بقدمه)** ومن أين يأتي الرضى بعد كل ماحدث؟

حرفوش : أنعود إلى الأسئلة وغوايتها؟ لاتلحف في السؤال، فإن السؤال يقود إلى الضلال. هذا ماقاله سيدنا الدرويش.

حنظلة : وأنا أقول هذه معاجزة. أفقد كل شيء، وتريدني ألا أسأل من أين يأتي الرضى! منذ أن اعتدوا عليّ، لا أستطيع أن أرد الأسئلة. إنها تحفر رأسي كالمغارز **(يضع يده على رأسه)** آخ.. دوار وألم. أراك تدور.. الهواء يدور. **(مشيراً إلى المتفرجين)** هؤلاء الغرباء يدورون.. كله يدور.

حرفوش : ما أسرع ما تيأس! انتظر حتى تشطف الطهارة قلبك. وتستقر فيه بركة الحرز.

حنظلة : **(بغضب، ينتزع الحرز من صدره ويلقيه على الأرض)** الحرز.. الحرز..

حرفوش : أيها التعيس!

حنظلة : **(يتبلد وجهه فجأة.. يركع بحركة تنم عن الخوف والندم، يريد أن يتناول الحرز، لكنه يتوقف، وتعاوده نوبة الغضب)** إنك تلهو بي كما يلهو الولد الشقي بعصفور مريض.

حرفوش : **(متصنعاً الغضب)** وأنا الذي تحملت هذه المشاق من أجلك! إذا لم تشكرني ليس ضرورياً أن تشتمني. **(يدير له ظهره ويبتعد متخلياً عنه)** سأتركك تتمرغ في الزبل وحيداً.

حنظلة : لا.. بحق الله لاتتركني. **(يجري وراءه ويمسكه من كمه)** لم يبق لي أحد، ولا أعرف ماذا أفعل! من المؤكد أني لا أميّز التعبير المناسب، لكن أرجو أن تصغي إليّ.. **(يتوقف، يلاقي عناء في البحث عن الكلام)** كيف أصف لك! فجأة رأيت كما يرى النائم. **(يتوقف)** لست نائماً، ومايحدث لي ليس بالحلم. الأصح أن أقول، فجأة صحوت من نوم عميق.

حرفوش : **(يقفز مصفقاً)** بدأ يفهم.. بدأ يفهم.

حنظلة : أفهم.. أنا أفهم؟.. بل هذه هي المشكلة. لم تدعني أكمل. صحوت فوجدت كل ماحولي فوضى مفزعة. الأشياء مقلوبة عاليها سافلها، والناس ينكرونني، ويتفقون على إهانتي. كل هذا حدث فجأة. فكيف يمكن ألا أستغرب وأسأل؟ مامعنى أن يحقنوني بالضحك بعد كل بلائي؟ ومِمَّ يجب أن أتطهر؟ أليس الأوجب أن يتطهر الذين أهانوني، وعذبوني؟

.فوش : إنه يجده.. إنه يجده..

ـــلة : ماهو؟..

حرفوش : الطريق إلى المعرفة.

حنظلة : المعرفة؟ ولكن لا أعرف لماذا يحدث لي مايحدث؟

حرفوش : تابع السؤال وفكر. **(يبذل حنظلة جهداً بالغاً في محاولة التفكير)** فكر فأنت تقترب من الجواب.

حنظلة : **(يضاعف جهوده العضلية في محاولة التفكير. بعد لحظات ينفجر يائساً)** لا أدري.. إني أفكر.. أحاول أن أفكر. إلا أن هناك جداراً من الظلام يوقفني. ربما.. لاشك أن الفهم يحتاج إلى قوة خارقة أو تدريب طويل..

حرفوش : **(يستعيد حيوية اللاعب ويتجه إلى الجمهور)** حقاً إن الفهم يحتاج إلى تدريب طويل. وصاحبنا بدأ التدريبات الأولى. إنه يخطو على الطريق، لكن مازالت أمامه مسافات. ومشيت معه. ليس المهم أن نجد لسؤاله جواباً جاهزاً، بل أن نعلمه كيف يجد الجواب بنفسه.. **(الآن يصبح الإيقاع سريعاً، وينسلخ الممثلان عن دوريهما.. إنهما يؤديان مايرويه حرفوش، وكأنهما يحكيان قصة قديمة..)** ومشيت معه.

حنظلة : طرقنا أبواباً كثيرة.

حرفوش : كلها تقدم خدمات وأجوبة.

حنظلة : بعد إلحاح وانتظار طويل.

حرفوش : استقبلنا المثقف الحكيم.

حنظلة : رجل عظيم، يشعر المرء أمامه بالضآلة والرهبة.

حرفوش : إنه يعيش في بيت من الكتب.

حنظلة : آه الكتب.. مشهد يبلبل الفكر، ويزوغ فيه النظر.

حرفوش : الجدران كتب، والأثاث كله مصنوع من الكتب. السرير والمقاعد والمنضدة، وحتى أكواب الماء، ومنافض السجائر. استقبلنا الحكيم بوقار، وحنظلة يضطرب، ويتعثر.. **(يحاول حنظلة أن يجلس، يخاف فينهض بسرعة.. يكاد مراراً أن يقع.. يبدو وكأنه دخل إلى متاهة).**

حنظلة : **(مدارياً اضطرابه، يرفع صوته ليسيطر على نفسه)** ياسيدي الحكيم أنا إنسان بريء.

حرفوش : **(يتخذ وضعية الحكيم. يبدأ الكلام هادئاً، ثم يعلو تدريجياً. في**

النهاية تختلط الكلمات والحروف في تدفق صوتي مخيف).

مامن إنسان بريء. البراءة هي العدم، الإنسان يأتي من العدم، وإلى عدم يصير. إذن البراءة قبل وبعد. ومن المستحيل أن تتزامن مع الوجود. الحماقة وحدها تتزامن مع الوجود. بين براءتين توجد الأفعال والكلمات، ولهذا فإن كل الأفعال والكلمات حماقة وعبث. مابين براءتين كل الأفعال والكلمات. لهذا فكل الأفعال والكلمات باطل الأباطيل. الكل باطل، والكل قبض الريح. دور يمضي ودور يجيء. الشمس تشرق ثم تغيب. كل الأنهار تجري إلى البحر، والبحر ليس بملآن. ماكان فهو ما يكون، والذي صُنع فهو الذي يصنع..

(يمكن أن يستمر هذا المقطع إيمائياً. حرفوش يومئ متحدثاً.. وحنظلة يضع إصبعيه في أذنيه وهو يعوي متوجعاً.. في نهاية المشهد ينطرح على الأرض أو يجري خائفاً وكأن الكلام كلاب تطارده.. يهدأ عندما يعلن حرفوش الانتقال إلى مكان آخر).

حرفوش : بعد المثقف الحكيم، طرقنا باب جمعية التآخي الاجتماعي.

حنظلة : استقبلتنا سيدة موقرة.

حرفوش : كان وقتها ضيقاً لايسمح لها أن تصغي إلى القصة كلها. قاطعت حنظلة، وألقت محاضرة مسهبة عن ضرورة التسامح الاجتماعي.

حنظلة : وفي النهاية حملتني رزمة ثقيلة من النشرات والمطبوعات..

(يبدو حنظلة، وكأنه يجد صعوبة في حمل كل المطبوعات. يسقط بعضها، يحاول أن يجمعها فتسقط مطبوعات أخرى.. في النهاية يرميها كلها ويبدأ يدوس عليها غاضباً).

حرفوش : ثم واتتني فكرة لماعة. لماذا لانذهب إلى قسم «الرقابة الشعبية»

في جريدة «الوطن». وهي جريدة ذات نفوذ قوي، وواسعة الانتشار.

حنظلة : دخلنا مكتب سيد محترم، استقبلنا دون فظاظة.

حرفوش : أصغى إلى القصة ولم يتأفّف. دوَّن بعض الملاحظات، واستفسر عن شؤون الحياة الزوجية.

حنظلة : في ختام الحديث كان بشوشاً. وعدني بحرارة أن يجد لي حلاً، ويساعدني على فهم ماجرى.

حرفوش : قال له وهو يودعنا، اعتمد عليّ واشتر غداً جريدة «الوطن».

(بعد هذا الفاصل، يعودان إلى مايشبه الوضعية السابقة. حنظلة مهدود، تنتابه الضحكة، ولحظات الانشداه.. بينما يمارس حرفوش لهوه، وحركاته البهلوانية).

صوت من الكواليس: الوطن.. اشترِ الوطن..الوطن..اشترِ الوطن.

حرفوش : **(يقفز في الهواء)** إنها الجريدة.

حنظلة : **(ينتفض ببلاهة)** الجريدة!

حرفوش : جاء الفرج يا حنظلة. سأخطف عدداً على الفور. **(يتناول عدداً من الكواليس).**

حنظلة : **(وهو ينهض بأمل)** أيكون هذا السيد قد تذكرني؟

حرفوش : **(وهو يحمل الجريدة)** الآن ستفهم سبب كل المصائب. **(وهو يقلب الصفحات)** الرقابة الشعبية.. الرقابة الشعبية.. ها هي الصفحة. **(يصفر)** ماهذا؟.. وحق الله إن قصتك تحتل رأس الزاوية.

حنظلة : **(فرحاً كالطفل)** أرني.. أرني..

حرفوش : انظر.. انظر.. مواطن اسمه حنظلة ثلاث نقاط يشكو امرأته للرقابة الشعبية.

حنظلة : يشكو امرأته!

حرفوش : دعنا نقرأ الموضوع أولاً.

حنظلة : طيب.

حرفوش : حدثت هذه القصة في مكتبي. دخل إليّ مواطن اسمه حنظلة ثلاث نقاط لاتبدو عليه البلاهة.. وإن كانت عباراته تعاني بعض التفكك. روى لي حكاية مسهبة عن مشكلته العائلية. وهي تقريباً الحكاية التقليدية. غاب الرجل عن البيت فترة، وحين عاد فارت الزوجة في وجهه، وأوصدت الباب دونه. وهو لايعرف لماذا.. ويبدو أن الحادثة سببت له صدمة عنيفة فأصبح يختلق أحداثاً غريبة، ويتصور أنه موضوع كوارث متلاحقة. طبعاً القصة كلها عادية، لكن ماهو طريف ومثير هو أن يلجأ هذا المواطن إلى زاوية الرقابة الشعبية كي تجد له حلاً. إلى أي وزارة يمكن أن نحيل هذه الشكوى؟.. أم نقترح على الحكومة إنشاء مديرية مختصة بالشؤون العاطفية! على أي حال، نرجو أن تقرأ زوجة المواطن حنظلة.. ثلاث نقاط، شكواه وأن تختار عمران عشها الزوجي لا خرابه بعد هذه الحكاية المسلية ننتقل إلى مشاكل المواطنين الجادة. ده.. ده.. ده.. وهذا كل شيء.

حنظلة : وتوقيفي؟!

حرفوش : هذا كل شيء.

حنظلة : وسرقة أموالي! وطردي من العمل!

حرفوش : هذا كل شيء.

حنظلة : (يغضب بعنف) لا.. إنهم يضحكون على ذقني. يجعلونني مسخرة. كذب واحتيال. أهكذا تعامل مشاكل المواطنين ومصائبهم؟. مسخرة المساخر! أصبحت مسخرة.. الكل يسخر مني، ويضحك على ذقني. واحد يدغدغني، والثاني يروعني بالمعاصي، والثالث يدوخني بالأحاجي والرابع ينصحني بالتسامح الاجتماعي، والخامس يحوّل كل مصائبي

إلي قصة هزلية سخيفة. **(يتوقف فجأة، تبرق عيناه)** على الأقل، بدأت أفهم شيئاً مؤكداً.

حرفوش : **(ملهوفاً)** ماهو؟.. ماهو؟..

حنظلة : كل هؤلاء يسخرون مني، ولايريدون أن أفهم لماذا يحدث لي مايحدث.

حرفوش : النور يضيء عقله. خطوة قصيرة، ونصل.

حنظلة : نعم.. متفقون كأفراد العصابة الواحدة. هذا غش فاضح.. هذا احتيال في وضح النهار. ألا توجد قوانين؟ ألا توجد حكومة؟

حرفوش : وجدتها يا حنظلة.. وجدتها. تلك فكرة باهرة.

حنظلة : ماهي؟..

حرفوش : أن نقابل رجال الحكومة.

حنظلة : **(تعود البلاهة المضطربة فتكسو وجهه)** نقابل الحكومة؟

حرفوش : المبنى قريب.. ولاشك أنهم يعرفون، وهم رعاة الرعية سبب مايلم بالمواطنين من مصائب. على كلٍ، تلك هي مسؤوليتهم.

حنظلة : **(متردداً وقلقاً)** أتظن أن مشاغل هؤلاء الموقرين تسمح باستقبالنا؟

حرفوش : واجب الحكومة هو السهر على راحة المواطنين، وتحقيق آمالهم. لا.. لم يبق أمامنا إلا رجال الحكومة. في البداية لم أقدر صعوبة المشكلة. وإلا كان ينبغي أن نتوجه إليهم فوراً. هيا بنا.. هي خطوة ثم تفهم كل شيء. **(يجره وراءه.. بلهجة إعلانية)** عند الحكومة **(يتم تغيير الديكور والسير على إيقاع مارش عسكري)**.

عند الحكومة

(تنتصب طاولة عالية. يجلس وراءها أشخاص الحكومة الأربعة. وهم: الأول: الشرطي في بزة عسكرية، الثاني: الطبيب بنظارتين ضخمتين، الثالث: الدرويش، الرابع: رب العمل. ومعهم سكرتيرة هي الزوجة. سنشير للأشخاص بالأرقام لكن ينبغي أن تكون هوية كل شخص واضحة، وأن يتذكره المتفرج. الفرق يكمن في تضخيم الملامح والمبالغة في أمارتها المميزة. السكرتيرة لعوب، يتصف تعاملها مع رجال الحكومة بالمجون. يدخل حنظلة بخطوات مترددة، محني الهامة بكثير من الاحترام والوقار. أما حرفوش فيدخل بصورة ساخرة.. جذعه إلى الوراء، ركبتاه مثنيتان قليلاً، ويداه على فخذيه. يتوقفان. حرفوش يلكز حنظلة لكي يبدأ الكلام.. فيرتبك وتأخذه رعدة.. يداري وضعه بمزيد من الانحناء والاتضاع. ينحيه حرفوش قليلاً، ويتقدم بطريقته الساخرة).

حرفوش : أيها السادة الموقرون. هذا صديقي حنظلة. حلت به مصائب أثقل من قامته الضئيلة. وهو لايعرف سبباً لها أو تعليلاً. فجاء إليكم آملاً أن يجد مايحتاج من الإيضاحات الحكيمة. والحلول الفعالة.

(يتبادل رجال الحكومة السجائر في حركات توقير شديد المبالغة، وتتشابك أيديهم بعلب السجائر، ويستحسن أن تكون ذات حجوم كبيرة. بعد السجائر تعود الأيدي فتتشابك بالولاعات من كل الأصناف، سحابة من الدخان ترتفع فوق رؤوسهم التي تتقارب، وكأنها في غمار مشاورة. الحوار هامس).

الشخص ٢ : سدّوا آذانكم، فأمامنا زبون نواح.

الشخص ٣ : الحزم.. الحزم فهو أوضح الإيضاحات.

(تباعد الرؤوس. يتحمحم الشخص الأول، ثم يوجه كلامه إلى حنظلة بلهجة خطابية).

الشخص ١ : نحن هنا.. في الليل والنهار، في الطقس البارد وفي الطقس الحار، كي نرعى المواطنين رعاية الأم للطفل الرضيع.

حنظلة : **(يتشجع حنظلة ويوجه الكلام إلى الشخص الأول)** رعاكم الله وحماكم. هذا قول يطمئن ويبشر بالفرج. حقاً كان الأولى أن أجيء إليكم على الفور. سأروي قصتي من أولها.

الشخص ٤ : أوجز أيها المواطن فوقت الحكومة ثمين.

حنظلة : حاضر.. حاضر.. **(يبدو أنه يبحث عن أسلوب مختلف في الكلام. فجأة)** إلا أن البداية هي أساس كل المصائب، وهي أول ما أتمنى أيها السادة الموقرون أن توضحوه لي. أنا رجل مستقيم.

الشخص ٣ : لا تتباه أيها المواطن.. فالحكومة لاتحب الذين يتباهون.

(حرفوش يضحك ضحكاً مكتوماً، حنظلة ينظر إلى الشخص الثالث ببلاهة، ثم يغمض عينيه كأنه يفر من ذكرى).

حنظلة : **(بعد تردد)** والله لا أقول إلا الصدق.

حرفوش : **(يلكزه)** إلى الوقائع يا صديقي.. إلى الوقائع.

حنظلة : **(مرتبكاً)** الوقائع.. نعم.. أيها السادة الموقرون.. كنت أسير في الشارع بكل أدب واحترام. وعند منعطف صغير هاجمني رجال الشرطة ثم رموني في الحبس. إني أسألكم أيها الموقرون، وفي يدكم السلطة والقانون، أهذه هي العدالة؟ وهل يجوز أن تقبض الشرطة على الناس دون ذنب؟

(تتقارب رؤوس رجال الحكومة للتشاور. الحديث هامس).

الشخص ٤ : قاعدتنا الأولية.. الوقاية خير من العلاج.

الشخص ٢ : وفي حالات الاستعصاء الدماغية عصا الشرطي هي المجدية.

الشخص ٣ : كنت أقول دائماً، يستحق رجال الشرطة أكثر مما يأخذون. **(تباعد الرؤوس. يتحمحم الشخص الأول، ثم يوجه كلامه إلى حنظلة بلهجة خطابية).**

الشخص ١ : عندما ينعس المواطن ينام ملء جفنيه. ولماذا ينام المواطن ملء جفنيه؟ لأن الحكومة ساهرة كالأم الحنون. عليها أن تحفظ الشوارع هادئة، والبيوت آمنة، ورقدة المواطن هانئة. ولهذا يتحتم علينا، أن نعتقل الشبهة وشبهة الشبهة. وأن نسحق الشغب، وهو مايزال في الخواطر والنوايا. ماسمعناه منك أسعدنا، وأثلج صدورنا، لأنه البرهان على أن رجالنا الأشداء يؤدون واجبهم على أحسن وجه.

الشخص ٤ : أكدنا مراراً ونعود فنؤكد، حبس احترازي خير من مواجهة فتنة.

الشخص ٣ : والقضاء على نوايا الشغب يمنع ظهور الشغب.

الشخص ٢ : وإنها لحكمة من رجال الشرطة ألا ينسوا أبداً هذه القاعدة.

الشخص : أظن أن هذه النقطة صارت واضحة. فهل هناك نقطة أخرى؟

حرفوش : **(يضرب حنظلة على ظهره)** هيا إلى النقطة الثانية.

حنظلة : النقطة الثانية.. ولكن.

حرفوش : الأولى أشبعت وضوحاً. فإلى الثانية، ولاتنس أن وقت الحكومة ثمين. **(حنظلة يتطلع مرتبكاً إلى رجال الحكومة. نظراته هي بين الضراعة والخوف. إنه يبدأ بالتعرف عليهم تدريجياً..).**

حنظلة : **(بعد تردد)** طيب.. وهذه محنتي الثانية. زوجتي التي قاسمتها السرير نصف عمري. طردتني، وأغلقت الباب في وجهي. إني أسألكم أيها السادة الموقرون، ماذا أفعل؟.. أليس هناك إجراء فعال ضد هذا الجحود؟

(يتبادل الأشخاص السجائر بالطريقة الآنفة الذكر).

الشخص ٣ : **(بعد فترة فيما يحملق حنظلة فيه، وكأنه يتعرفه)** هن لبوس لكم وأنتم لبوس لهن. الأسرة هي الخلية الأساسية في جسد المجتمع إذا أينعت أينع المجتمع. لن تدخل الحكومة تحت اللحاف لتكشف ماينك وبين زوجك. لكن يسرنا أن تقف الزوجات الفاضلات معنا، وأن تعامل المرأة بالحزم زوجاً يفضل التسكع المشبوه على البقاء في كنف أسرته.

الشخص ٤ : المرأة التي تغلق الباب في وجه زوج متسكع تسهم في البناء الاقتصادي.

الشخص ٢ : تشجع التناسل، وتجدد شباب المجتمع.

الشخص ٣ : تقوي أواصر الأسرة، وتحفظها نقية طاهرة.

الشخص ٢ : وإنها لحكمة من الزوجة المواطنة ألا تنسى أبداً هذا القاعدة.

الشخص ٤ : فهل هناك إيضاح أوضح من هذا الإيضاح؟..

حنظلة : وضوح إيضاح الإيضاحات.

حرفوش : والثانية قتلت وضوحاً، فإلى الثالثة إن كانت هناك ثالثة.

حنظلة : **(بدأ يتعرف عليهم. لهجته تشوبها منذ الآن رنة الاستخفاف وهدوء من يكتشف الحقيقة)** الثالثة أدام الله فضلكم. لماذا تُسرق أموالي وفوق السرقة أسرح من عملي؟
(تتقارب رؤوس رجال الحكومة، الحديث هامس).

الشخص ٣ : إذا تراخوا، أو تذمروا، فاستنفر الهمم إلى الاستشهاد.

الشخص ٤ : أنت تعرف أيها المواطن أن قوة أي بلد لا تقاس بثروته فقط. وإنما بقدرة أبنائه على التضحية. إذا أنت لم تضحِّ وهو لم يضحِّ، فكيف نعمر هذه البلاد ونبنيها.

الشخص ٢ : إذا أنت لم تحترق، وهو لم يحترق، فمن أين تأتي النار؟

حنظلة : **(بغضب)** لماذا أنا؟ أنا دائماً من يضحي! أنا دائماً من يخونه الحظ! لماذا تتوافق كل الأشياء ضدي. كل الأشياء على الإطلاق؟ العمل، والحياة الزوجية، والمال والصحة، والحذاء.

وفوق هذا ما معنى هذه الآلة المعقدة من الكلمات الكبيرة والشعارات.. من الواجبات والتضحيات.. يجب.. يجب.. يجب ثم ماذا.. ثم ماذا.. ثم ماذا..

الشخص ٣ : ولاتفقد الرضى، فإننا لا نحب إلا الراضين.

حنظلة : ثم ماذا؟

الشخص ٤ : من يفقد الرضى، يضيعنا.

حنظلة : ثم ماذا؟

الشخص ٢ : ومن يضيعنا تجده الشرطة.

حنظلة : ثم ماذا؟

الشخص ٣ : ومن تجده الشرطة تنطبق عليه الزنزانة.

حنظلة : ثم ماذا؟

الشخص ١ : أعلنا ونعلن.. في هذه المرحلة المثقلة بالمسؤوليات والأخطار، يجب أن نكون كالبنيان المرصوص، تشدناأواصر القيم والمبادئ الثابتة. لن نسمح لمشاغب أو موتور، أن يمس وحدة المجتمع ومؤسساته. إن المسيرة المقدسة، مسيرة الشعب تحت الحكومة، والحكومة فوق الشعب ستمضي حاشدة مدوية، حتى تتحقق كل الأماني العظيمة.

حنظلة : ثم ماذا؟

الشخص ٣ : انتهت الجلسة.

(يخرج الأشخاص).

فوش : فوقت الحكومة ثمين..

(حنظلة يحملق فيهم، ويتابعهم، وهم يخرجون واحداً إثر الآخر..).

حرفوش : هل فهمت الآن؟

حنظلة : **(لهجة واثقة)** حقاً فهمت. ظمآن وريقي ناشف. وإذن هم أنفسهم. أنا أدور حول نفسي.. وهم أنفسهم.. متفقون

كأفراد العصابة الواحدة يسخرون من المساكين أمثالي، ويعملون كي نبقى في الجهل والظلام.

حرفوش : ثم ماذا؟

حنظلة : أين كنت طوال هذه الفترة؟

حرفوش : ثم ماذا؟

حنظلة : وكيف كنت أحيا؟

حرفوش : ثم ماذا؟

حنظلة : كانوا يسخرون مني دائماً وأنا غافل.

حرفوش : ثم ماذا؟

حنظلة : يضطهدونني، يسرقونني، يستغلونني وأنا غافل.

حرفوش : ثم ماذا؟

حنظلة : كانت حياتي السابقة كلها خدعة، وينبغي أن تتوقف هذه الخدعة.

حرفوش : ثم ماذا؟

حنظلة : أستحق ما جرى لي..

حرفوش : **(بلهجة إعلانية إلى الجمهور)** وهكذا استفاق حنظلة.. كانت الرحلة شاقة، لكنها تستحق العناء. فهم أخيراً أن سبب آلام حنظلة هو حنظلة، وأن حياة حنظلة لايغير مجراها إلا حنظلة.

حنظلة : كانت الرحلة شاقة، لكنها تستحق العناء.

حرفوش : **(بقفزة بهلوانية)** الاسم.

حنظلة : حنظلة بن حامد الحنظلي. مواليد الدرويشية.

حرفوش : المبدأ؟

حنظلة : كل ماحولي يعنيني، لأن فيه مصيري.

حرفوش : المبدأ؟

حنظلة : قولة امش الحيط الحيط وقل يا رب السترة لاتقود إلى السترة.

حرفوش : هذا ختام الرحلة.

(تعود فترتفع من الكواليس أصوات رجال الحكومة بشكل صاخب ومهدد).

أصوات رجال الحكومة : أعلنا ونعلن.. في هذه المرحلة المثقلة بالمسؤوليات، يجب أن نكون كالبنيان المرصوص، تشدنا أواصر القيم والمبادئ الثابتة. لن نسمح لمشاغب أو موتور، أن يمس وحدة المجتمع ومؤسساته. إن المسيرة المقدسة مسيرة الشعب تحت الحكومة، والحكومة فوق الشعب ستمضي حاشدة مدوية، حتى تتحقق كل الأماني العظيمة.

حرفوش : **(متحدياً)** وبدء الرحلة.

حنظلة : وبدء الرحلة.

(يكرران العبارة مراراً).

(ستار).

١٩٧٨

سعد الله ونوس

ولد عام 1941 في قرية (حصـين البحر) محافظة طرطوس، سـوريا درس حتى الثانوية في قريته كان أول كتاب أقتناه هو "دمعة وابتسامة" لجبران وكان عمره 12 سنة، ثم نمت مجموعة كتبه وتنوعت : طه حسين ، العقاد، ميخائيل نعيمة، نجيب محفوظ، يوسف السباعي، إحسان عبد القدوس ... الخ

1959حصل على الثانوية العامة، وسافر إلى القاهرة في منحة دراسية، ليدرس الصحافة في كلية الآداب، جامعة القاهرة.

1961انفصال الوحدة بين سوريا ومصر (هزة شخصية كبيرة) فكتب مسرحية طويلة عنوانها "الحياة أبداً."

1962كتب مقالأفي مجلة (الآداب) حول الوحدة والانفصال، ومقالات في جريدة (النصر) الدمشقية.

1963الحصول على الليسانس، دراسة نقدية طويلة عن رواية (السأم).

ألقى في المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق سلسلة محاضرات تحت عنوان (في البحث عن مسرح عربي).

بدأ الكتابة في مجلة الآداب التي نشـر فيها مقالا عن الانفصـال ودراسـة عن رواية السـأم لالبرتو مورافيا، ثم رجع إلى دمشق وعمل في وزارة الثقافة عمل محرراً للصفحات الثقافية في صحيفتي السفير اللبنانية والثورة السورية. كما عمل مديراً للهيئة العامة للمسرح والموسيقى في سوريا. في أواخر السـتينات، سـافر إلى باريس ليدرس فن المسـرح. وبعد أن عاد تسـلم تنظيم مهرجان المسـرح الأول في دمشـق ثم عين مديراً للمسـرح التجريبي في مسـرح خليل القباني مسـرحياته كانت تتناول دوما نقدا سياسيا اجتماعيا للواقع العربي بعد صدمة المثقفين إثر هزيمة1967، في أواخر السـبعينات، سـاهم ونوس في إنشـاء المعهد العالي للفنون المسـرحية ب دمشـق، وعمل مدرساً فيه. كما أصدر مجلة حياة المسرح، وعمل رئيساً لتحريرها.

في أعقاب الغزو الإسـرائيلي للبنان وحصـار بيروت عام 1982، غاب ونوس عن الواجهة، وتوقف عن الكتابة لعقد من الزمن. عاد إلى الكتابة في أوائل التسـعينات. كان سعد الله ونوس أول مسـرحي عربي يقوم بكتابة الرسـالة الدولية في اليوم العالمي للمسـرح 27 آذار 1996 تم تكريم سعد الله ونوس في أكثر من مهرجان أهمها مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي ومهرجان قرطاج وتسلم جائزة سلطان العويس الثقافية عن المسرح في الدورة الأولى للجائزة في 15 أيار (مايو) 1997، توفي ونوس بعد صراع طويل استمر خمس سنوات مع مرض السرطان.

وهكذا كان سـعد الله ونوس مقاتلاً بالكلمة وحالماً بالحرية حتى آخر لحظة في حياته, فقد ذكرت زوجته فايزة شاويش انه لم يترك الكتاب والورق والاقلام حتى في ايامه الأخيرة بالمستشفى وهو

يودع دنيانا. ومن الأقوال الشــهيرة له والتي القاها في مؤتمر المســرح بباريس قبيل وفاته (نحن محكومون بالأمل ولا يمكن ان يكون هذا نـهاية التاريخ).

منح ســـعد الله ونوس الجائزة على مجموع أعماله المســـرحية، مع التنويه بمســـرحياته الأربع التالية: حفلة ســـمر من أجل 5 حزيران، ســـهرة مع أبي خليل القباني، مغامرة رأس المملوك جابر، الملك هو الملك.

وذلك لما تحققه هذه الأعمال من تأصــيل لصــيغة مســرح عربي يفيد أولاً من تراث الأمة العربية تاريخاً، أو أسـطورة، أو حكاية، ويفيد ثانياً من التراث المسرحي الإنسـاني، قديمه وحديثه موظفاً بشــكل خاص أســاليب المســرح الملحمي، والمســرح داخل المســرح، في قالب يتحد فيه الإيقاع الدرامي ضـــمن هدف خلق مســـرح عربي جديد. ويتعامل مع الواقع العربي برؤية واضـــحة من الناحيتين النظرية والعملية، واعية لدور المســـرح في تعميق الإحســـاس الجماعي بالمصـــير التاريخي.

كاتب مســـرحي ســـوري ولد في حصـــين البحر بمحافظة طرطوس عام 1941 ، واشـــتهر منذ الستينات كواحد من أبرز وجوه الحركة الثقافية والمسرحية في العالم العربي.

درس الصحافة في القاهرة وأنهى دراسته في عام 1963 . وفي تلك الفترة بدأ اهتمامه بالمسرح وكتب مسرحيات قصيرة صدرت عن وزارة الثقافة في سوريا عام 1965 ، في كتاب مستقل تحت عنوان " حكايا جوقة التماثيل " ثم جمعت مع غيرها في كتابين صـــدرا عن الآداب في لبنان عام 1978 . ومن أهم هذه المســـرحيات القصـــيرة " ميدوزا تحدق في الحياة " و " فصـــد الدم " (1963) ، و " جثة على الرصـيف " ومأســاة بائع الدبس الفقير " والرسـول المجهول في مأتم انتيجونا " (1964) و " الجراد.(1965) "

سافر إلى فرنسا عام 1966 وتعرف على المسرح الغربي في فترة تحولاته الأساسية ، واستطاع أن يستوعب أهم الطروحات الجديدة في تلك المرحلة وأن يطوعها في أعماله على أرضية المسرح العربي واهتماماته . فاستخدم " الهابننغ والتحريض " وأدخل تقنياتهما على موضـوع الحرب في عام 1968 وذلك لكي يطرح سؤالا جوهريا حول الهزيمة مشككا بقدرة الكتابة المسرحية التقليدية على التعبير عن المستجدات والأحداث العنيفة المعاصرة كما في مسرحية " حفلة سمر من أجل 5 حزيران. "

إن استخدام تقنيات المسرح الغربي ، في تلك المرحلة ، لم يؤد عند سعد الله ونوس ، بأي حال من الأحوال إلى عملية نسخ ، وإنما كان عملية جدلية ربطت ودمجت بين أهم التطورات التي دخلت على المســـرح العالمي في الغرب ، وبين أشـــكال وتقاليد " الفرجة " في تراثنا الثقافي والشـــعبي . وهذا ما نجده في مســـرحيات مثل " الملك هو الملك " (1978) و " الفيل يا ملك الزمـان " ، و " مغامرة رأس المملوك جابر " (1969) حيث يحكي حكواتي لجمهور مقهى شـعبي حكاية المملوك الذي ضيع رأسـه في معمعة الصـراع على السـلطة . في هذه المسـرحيات يســتخدم ونوس تقنيات اللعبة والحكاية التي تولد حكاية أخرى (كما في حكايات ألف ليلة وليلة) ، وتقنية المســرح داخل المســرح بحيث تبدو الأمور وكأنه لعب ينقلب إلى جد . وقد بلور ونوس عبر هذه المسرحيات مفهوم " التسييس " وميزه عن المسرح السياسي.

وبالإضــافة إلى ذلك صــاغ ونوس أفكاره عن المســرح والثقافة بشـكل نظري في كتابي " بيانـات لمســـرح عربي جديد " و " هوامش ثقافيـة " . والواقع أن اهتمـامـات ونوس المتعددة والمتنوعة على المســـتوى الثقافي قد تبلورت في نواح عديدة منذ البداية . فقد قام بترجمة جان فيلار إلى العربية ، وكتب مسرحية عن مؤسـس المسرح في سوريا وهي " سـهرة مع أبي خليل القباني " . كما سـاهم في ترسـيخ أسـس لمهرجان مسـرحي في دمشـق ، وأسـس وترأس تحرير مجلة مسرحية مختصـة هي (الحياة المسرحية) ، وسـاهم في إنشـاء معهد لتدريس المسرح في سوريا.

كرم سعد الله ونوس في محافل عديدة أهمها مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي في دورته الأولى ومهرجان قرطاج بـــــ تونس عام 1989 وحصل على جائزة سلطان العويس الثقافية عن حقل المسرح في دورتها الأولى.

صـــــدرت أعماله الكاملة في عام 1996 ، في ثلاثة مجلدات عن دار الأهالي بدمشـــــق ، جمعت فيها كل المســـرحيات الطوية والقصـــيرة والنصـــوص النظرية من بيانات وكتابات تتعلق بالمسرح . وقد ترجمت مسرحياته إلى العديد من اللغات الأجنبية كما نشرت وتم عرضها في كثير من الدول العربية والأوربية.

رحل سعد الله ونوس في الخامسة عشر من أيار / مايو 1997 ، أثر مرض دام لسنوات لم ينقطع خلالها عن الكتابة . ومن أعماله في هذه الفترة " طقوس الإشـــارات والتحولات " و " والأيام المخمورة. "

هوامش للعرض والإخراج

أحاول في هذه المسرحية تجربة أخرى من تجارب " مسـرح التسـييس " التي بدأتها من قبل - ينبغي هنا التنبيه إلى أن هناك فارقا كبيرا بين " المسرح السياسي " و " مسرح التسييس " لا مجال الآن للبحث فيه - وأحدد بسرعة مفهوم هذا " المسرح " على أنه حوار بين مساحتين . الأولى هي العرض المســـرحي الذي تقدمه جماعة تريد أن تتواصـــل مع الجمهور وتحاوره . والثانية هي جمهور الصـــالة الذي تنعكس فيه كل ظواهر الواقع ومشـــكلاته .. وحتى الآن لا يزال هذا الحوار صـــعبا . فمن جهة ، هناك التقاليد المســـرحية المبنية على إلغاء مثل هذا الحوار ، أو إقامته بصـــورة غير مباشـــرة وضـــمنية . وهناك أيضـــا - وهذا أهم - طبيعة المتفرجين أنفســـهم وموانعهم الداخلية التي تحول بينهم وبين مباشـــرة الحوار والانســـياق مع نوازعهم الداخلية للتعبير عن أنفسهم . لهذا فإننا نقوم بتجربة بعض الوسائل المصطنعة لتقديم مثل على إمكانية هذا الحوار كأن نضـــع في ســـياق العمل متفرجين يتحدثون لحســـابهم ، ويناقشـــون ، ويقدمون نموذجا لما يستطيعه ، المتفرج أو لما ينبغي أن يكون عليه . طبعا نحن لسـنا من السـذاجة بحيث نعتقد - كما ظن أحد الكتاب في تعليقه على " حفلة ســـمر " - أن المتفرجين الحقيقين لن يكتشـــفوا أن هؤلاء الذين يجلســـون بينهم ، ويشـــتركون في النقاش والحوار ، همم ممثلون مدربون على أدوارهم .. ولكن كما قلت سابقا : إننا نحاول ببعض الوسائل الاصطناعية كسر طوق الصمت ، وتقديم نموذج قد يؤدي تكراره إلى تحقيق غايتنا في إقامة حوار مرتجل وحار وحقيقي بين مســاحتي المســرح : العرض والمتفرج . ومن المؤكد أن هذه الوســـائل ليســـت كافية وحدها ، وقد تتحول إلى مجرد مسألة شكلية وتقنية ، ما لم يتوفر الأمر الأهم والأساسي في إثارة الحوار وتشجيعه . وأعني أن تتوفر في العرض المسرحي - أي في المساحة الأولى - الشروط اللازمة لإثارة الحوار .. كارتباط الموضـوع بحياة المتفرج ومشـاكله ، ونوع المعالجة ، وشـكلها .. و... على أن هذه الشـروط لا تكفي الموهبة فقط لتحقيقها ، وإنما تحتاج إلى بحث طويل في ظروف البيئة وبنيتها . وللأســـف حتى الآن لم نشرع جديا في هذا البحث.

إني أحلم بمســرح تمتلئ فيه المســاحتان ، عرض تشـترك فيه الصــالة عبر حوار مرتجل وغني يؤدي في النهاية إلى هذا الإحساس العميق بجماعيتنا وبطبيعة قدرنا ووحدته.

هذه المسرحية ليست إلا مشروع عمل لن يتم إلا بعد أن تتوفر له مجموعة متجانسة ولها رؤيتها ، تقوم ببنـائـه وبلورة إمكانيـاتـه من خلال بحث دؤوب ، لا تتوقف حددوده عند الهواجس

الجمالية ، بل تتعداها إلى المشـكلات السـياسـية والاجتماعية للواقع . إن كل تجربة عرض لهذه المسرحية ينبغي أن تكون في الوقت نفسـه تجربة بحث ظروف البيئة الراهنة ، وشروط الاتصال بالمتفرج والتفاعل معه . دون ذلك ، هذه المسرحية تفقد كل مرراتها وقيمتها أيضا.

عندما أقول إن المسـرحية ليسـت إلا مشـروعا للعمل ، فإنني أعني وجود بعض الثغرات والمسـاحات الفارغة ، التي تركت عمدا كي يملأها " العرض المسـرحي " بما يلائم الظروف والمكان . ليست لهذه المسرحية بداية دقيقة ، والسياق نفسه يمكن ألا يتخذ شكلا صارما ومعماريا . نحن في مقهى .. والمقهى ليس مكانا للحدث المسرحي ، بل هو المسرح نفسه خشبة وصالة . والجو الذي يسوده له دور صميمي في المسرحيه . فمن خلاله سنعمد إلى كسر الطوق اليابس للعرض المسرحي ، وسنتخلص من طقوس العمل الدائري التام لنبعث بعد ذلك نوعا من الألفة بين المتفرجين ، يتيح لنا تقديم صـورة عفوية تتخللها حكاية ذات مغزى . لهذا فإن البداية ليسـت مرهونة بسـاعة معينة أو بافتتاح صـارم . إننا نبدأ فقط عندما يعم إحسـاس منشـود بالألفة . وتتلاشـى الغرابة الأولى ، التي يحسـها المرء حين يجد نفسـه وسـط جماعة ، هي الأخرى بمجموعها تحس بالغرابة إزاء قصة وشخصيات ومناظر تراها لأول مرة.

باختصـار إني أقترح شـكل " سـهرة المنوعات " لعرض مسـرحي . ولا شـك جو المقهى يتيح لنا فرصة ممتازة لذلك . وهذا الشكل لا يلتصق بهذه المسرحية فقط وإنما يمكن التوسع فيه ، واستنفاد إمكانياته في أعمال كثيرة لأن المهم في النهاية هو أن نتجاوز شكلا صارما لمسرح ، حتى الآن لا يزال المتفرج عندنا يجد نفسـه غريبا إزاءه . وهو يبذل مجهودا خاصـا - مجهودا ثقافيا بالطبع - كي يتلاءم مع هذا الشكل أو يألفه.

وباعتبار ما سـبق ، فإن كل أحاديث الزبائن ، وتدخلهم في مجريات الأحداث ، وتعليقاتهم ليسـت إلا اقتراحات ، أو ما سـميته وسـيلة اصـطناعية لتشـجيع المتفرج على الكلام والارتجال والحوار .. ولهذا فمن الممكن في ضـوء أي إخراج أن يعاد النظر في هذه الأحاديث ، أو أن تبدل صيغتها وتحول إلى العامية...

يمكن تقديم هذه المسـرحية في أي مكان ، وفي أي مسـاحة أنا أضـعها الآن في مقهى ، ولكن ذلك لا يمنع من تقديمها في أي مكان...

وبكلمة واحدة .. إني أبحث عن عرض حي لحكاية تهمنا جميعا . ولذا أتصور استخدام كل الوســـائل الممكنة كي نصـــل إلى هذا العرض الحي الذي أتمناه " فرجة " ممتعة ومفيدة تدفع المتفرج إلى تأمل مصيره.

في ركن ناءٍ من قرية حصــين البحر بريف طرطوس الســوري، وُلد ســعدالله ونوس عام 1941 وســط عائلة فقيرة تعاني من وطأة الحرمان. كان الطفل ضــعيفا في مادة التعبير، لكنه لم يكن يعلم أن تلك النقطة السلبية في تقريره المدرسي ستكون بوابة نحو عالم الكلمة والمسرح.

يروى أن أسـتاذه، بنظرة حانية، نصـحه بالإكثار من القراءة، وهكذا بدأت رحلته. أول كتاب اقتناه كان "دمعة وابتسـامة" لجبران خليل جبران، ثم توسـعت مكتبته تدريجيًا لتشـمل أعمال طه حسـين وميخـائيل نعيمـة ونجيب محفوظ، لتصــــبح فيما بعد ملاذًا لـه من واقعه القاســـي. هذه البدايـة المتواضـعة لم تكن مجرد لحظة عابرة في حياته، بل كانت شـرارة لإشـعال موهبة كتب لـها أن تـهزّ خشبة المسرح العربي وتترك بصمة لا تُمحى.

الرحلة نحو الكلمة

تأملات نقدية في التاريخ العربي

بعد حصـــولـه على الثانوية العامة عام 1959، غادر ونوس قريتـه إلى القاهرة بمنحة دراسية لدراسة الصحافة في كلية الآداب بجامعة القاهرة. في شوارع المدينة الضخمة، وجد نفسه منجذبًا إلى محاضــرات الدكتور محمد مندور، حيث اكتشــف عالم النقد الأدبي الذي فتح له أبواب المسرح.

هناك، في أروقة الجامعة، بدأ يكتب أولى محاولاته المســـرحية بعنوان "الحياة أبدا" عام 1961، رغم أنـها لم تُنشـــر آنذاك. كانت تلك الخطوة الأولى في رحلة طويلة كان يجهل وجهتها، لكنها كانت مليئة بالحماس والتطلع.

عاد إلى دمشق عام 1963، حيث عُيّن مشرفًا على قسم النقد في مجلة "المعرفة" التابعة لوزارة الثقافة. في تلك الفترة بدأ يكتب مقالات نقدية ومسـرحيات قصـيرة نُشـرت في مجلات مثل "الآداب" و"الموقف العربي."

عام 1965 أصدر أولى مجموعاته المسرحية بعنوان "حكايا جوقة التماثيل"، التي ضمت ست مسرحيات، منها "لعبة الدبابيس" و"جثة على الرصيف" و"الرسول المجهول في مأتم أنتيغونا". كانت هذه الأعمال تعكس رؤيته الأولية للمسرح كأداة تعبير عن الواقع الاجتماعي، لكنها كانت مجرد مقدمة لما سيأتي لاحقًا.

ميلاد "مسرح التسييس"

عام 1966 حصل ونوس على إجازة دراسية وسافر إلى باريس لدراسة المسرح الأوروبي. في شوارع العاصمة الفرنسية كتب رسائل نقدية عن الحياة الثقافية هناك، ونشرها في مجلات عربية، لكن الحدث الأكبر كان نكسة حزيران 1967. تلك الهزيمة المؤلمة هزت وجدانه، فكتب مسرحيته الشهيرة "حفلة سمر من أجل خمسة حزيران"، التي اعتُبرت صرخة ضد الخذلان والاستسلام. هنا، تبنى ونوس مفهوم "مسرح التسييس"، وهو أسلوب يتجاوز مجرد عرض الواقع ليصبح أداة لتغييره. كان يؤمن بأن الأنظمة القمعية تستفيد من مجتمع لا يفكر سياسيًا، وأن تسييس المجتمع هو خطوة تقدمية جوهرية.

أولى محاولاته المسرحية

بمرور الوقت تحول مسرح ونوس إلى مرآة تعكس تناقضات المجتمع العربي، لكنه لم يقتصر على عكس عيوب المجتمع، بل سعى لكسر تلك الصورة وإعادة تشكيلها.

في "سهرة مع أبي الخليل القباني" (1973) استعاد دور الفن في مواجهة السلطة، بينما في "طقوس الإشارات والتحولات" (1994) غاص بعمق في قضايا الدين والجنس والسيطرة. "منمنمات تاريخية" (1994) قدمت تأملات نقدية في التاريخ العربي، و"الأيام المخمورة" (1997)، آخر أعماله، كانت وصية كتبها وهو يصارع المرض، محملة بالأمل رغم الألم.

لم يكن ونوس منخرطًا في أحزاب سياسية، لكنه كان مثقفًا ملتزمًا، يرى أن دوره يتجاوز الكتابة إلى مساءلة الواقع. قال ذات مرة "إننا محكومون بالأمل،" عبارة أصبحت شعارًا في خطابه ليوم المسرح العالمي 1996، حيث كان أول كاتب عربي يُكلف بهذا الشرف بعد توفيق الحكيم. كانت كلماته دعوة إلى استمرار النضال الفكري، حتى في أحلك الظروف.

في سنواته الأخيرة أصيب ونوس بالسرطان، لكنه رفض أن يتوقف قلمه. كتب خلال تلك الفترة أعماله الأعمق، كأنما كان يريد ترك كل ما لديه قبل الرحيل. في 15 مايو 1997، توفي

عن عمر 56 عامًا، تاركًا إرثًا مسرحيًا وفكريًا عظيمًا. لم يكن مجرد كاتب، بل كان ضميرًا ثقافيًا قاوم الطغيان بالكلمة، وجعل من الخشبة منبرًا للحرية.

رمز تحت التهديد

بعد 28 عامًا من رحيله، عاد اسم ونوس إلى الواجهة في سياق غير متوقع. في ظل حكومة انتقالية جديدة تسعى لإعادة تشكيل الهوية الثقافية السورية، تسربت وثيقة في 2025 تشير إلى اقتراح يقضي بإعادة تسمية أكثر من 60 مدرسة في دمشق، منها مدرسة تحمل اسم ونوس.

إرث سعدالله ونوس لا يقاس بعدد مسرحياته

زوجته، فايزة شاويش، عبّرت عن أسفها العميق، قائلة إن زوجها "رمز وطني لا ينتمي إلى نظام، بل يستحق التكريم." اندلعت ضجة واسعة، لم تكن مجرد رد فعل على اسم مدرسة، بل تعبيرًا عن خوف من محو الرموز الثقافية التي شكلت وجدان السوريين.

تدخل وزير الثقافة، محمد ياسين صالح، ليؤكد بقاء الاسم، لكن القرار الأولي أثار تساؤلات. لاحقًا، أُعلن تراجع السلطات عن قرار رفع الاسم بعد ردود فعل غاضبة من المثقفين. لو لم يتراجعوا، كان ذلك سيُفسر كإشارة إلى استمرار منطق الإقصاء، وكان سيضعف مصداقية النظام الجديد في ادعائه الانفتاح. التراجع، رغم تأخره، أعطى فرصة لإعادة الاعتبار لرمزية ونوس، لكنه أيضًا أبرز حساسية المجتمع تجاه محاولات التلاعب بالذاكرة الثقافية.

إرث لا يُمحى

إرث سعدالله ونوس لا يقاس بعدد مسرحياته، بل بقدرته على إلهام أجيال. كان يرى المسرح فضاء لتحرير الإنسان من الخوف والتبعية، وسلاحًا ضد الصمت. أعماله، من "حفلة سمر" إلى "الأيام المخمورة"، لم تكن مجرد نصوص، بل دعوات للتفكير والتغيير. في زمن الانكسارات كتب ليقاوم، وترك أملًا يستمر في التوهج.

اليوم، ونوس يبقى رمزًا للمثقف المقاوم، والمسرح منبرًا للحرية. اسمه على مدرسة ليس مجرد تكريم، بل تذكير بأن الكلمة يمكن أن تكون مقاومة، وأن الثقافة هي الوطن الحقيقي الذي لا يمكن أن يُغلق. في عالم يتغير باستمرار، يبقى صوته نقيًا، يدعو إلى الأمل، ويحث على

التسـاؤل: هل يمكن للفن أن يغير الواقع؟ سـعدالله ونوس أجاب: نعم، وأثبت ذلك بكل خطوة خطاها على خشبة المسرح.

أهم المؤلفــات :

- فصد الدم 1964.
- صـدور أول مجموعة له من المسـرحيات القصـيرة عن وزارة الثقافة تحت عنوان (حكايا جوقة التماثيل) 1965.
- عندما يلعب الرجال 1968.
- حفلة سمر من أجل خمسة حزيران 1968
- الفيل يا ملك الزمان1969.
- مغامرة رأس المملوك جابر 1971
- ترجمة كتاب (حول التقاليد المسرحية) 1976.
- الملك هو الملك 1977
- رحلة حنظلة 1978
- الاغتصاب 1990
- منمنمات تاريخية 1994
- طقوس الإشارات والتحولات 1994
- أحلام شقية 1995
- يوم من زماننا 1995
- ملحمة السراب 1996
- بلاد أضيق من الحب 1996
- رحلة في مجاهل موت عابر 1996
- الأيام المخمورة 1997